دكتور
أحمد أبو السعادات

من العقيدة الإسلامية

" السمعيات "

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير الهادى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم المنزل عليه الكتاب المبين الذى هو نور وبرهان من رب العباد ليسير الناس على هديه ويستنيروا بنوره .

وبعـــد

فإن علم العقيدة الإسلامية ضرورى للبشرية لأنه عن طريقه يعرف الإنسان خالقه وباريه فى العدم الى الوجود والعقيدة الإسلامية هى العقيدة الصحيحة العامة الشاملة التى من شأنها أن تصلح للإنسان إنسانيته وتجعله يسير على فطرته التى فطره الله عليها لقوله تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم »

فالعقيدة هى الدين الصحيح وكل واحد من البشر محتاج إليه فى حياته التى يحياها والتى يتزود منها لآخرته كى تتم له السعادة فى الدارين ولاريب أن هذه العقيدة اشتملت على أصول نزلت فى كتاب الله لصالح الإنسان .

هذه الأصول هى معرفة الله تعالى وماجاءت به الرسل لهداية البشرية وما اشتملت عليه الكتب السماوية من بيان وهداية ليسير الناس على الطريق المستقيم فيعبدوا إلها واحدا ويؤمنوا بالموت والحياة وكما أن لهم بداية يعرفون أن لهم نهاية فيؤمنوا باليوم الآخر وما اشتمل عليه من جنة ونار وصراط وميزان وملك وجان ونشر وحشر وبعث وهـــو ايضا يحتاج إلى الأخلاق التى تربطه بخالقه فالتخلق بالأخلاق التى جاء بها

القرآن الكريم من شأنها ان تحقق له السعادة التامة لأنه تحلى بالفضيلة وتخلى عن الرذيله فأسعد نفسه أولا وحققها للآخرين ثانيا وهى توقظ فى الإنسان الضمير فيعمل لدنياه وآخرته .

والله ولى التوفيق .

المؤلف

ا.د/ أحمد أبو السعادات

السمعيات

بقلم الدكتور

أحمد أبو السعادات

السمعيات

هذا هو القسم الثالث من أقسام التوحيد الثلاثة التى هى : الإلهيات — والنبوات — والسمعيات التى تسمى الغيبيات أيضا .

وبعد أن أوضحنا لك جانب الإلهيات ، وجانب النبوات . نبين لك الآن جانب السمعيات ، وهى الأمور التى لا تعرف إلا بالسماع من الصادق الأمين محمد — ﷺ — عن طريق النقل من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية الشريفة .

ومباحث هذا القسم سميت بالسمعيات لأنه لا دخل للعقل فى الوصول إلى ما يذكر فيها . بمعنى أن العقل لا يستطيع أن يستقل بإدراك السمعيات ولا أن يعرفها إلا من طريق النقل من الكتاب أو السنة اللذين وصلا إلينا عن طريق السماع من الصادق نبينا محمد — ﷺ — عن أمين الوحى — جبريل — عليه السلام — عن رب العزة سبحانه وتعالى .

لذلك : سميت مباحث هذا القسم بالسمعيات ولا يوجد دليل عقلى يمنع من وقوعها ، بل هى داخلة فى الأمور الجائزة عقلا ، لأنها أثر لعلم الله — تعالى — وإرادته وقدرته .

ولا يقبل إيمان مسلم حتى يصدق بالسمعيات تصديقا جازما لا يقبل الشك أو التردد .

ومن السمعيات : الملائكة :

وقد بدأنا الحديث بالكلام على الملائكة لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ذكر كل منهما الإيمان بالملائكة بعد الإيمان بالله رب العالمين .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته . . . » الآية[١] .

ومن السنة ما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم وغيره عن عمر — رضى الله عنه — لما سأل — جبريل — عليه السلام — رسول الله ﷺ — عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله وملائكته . . »[٢] .

ولما كان الكلام عن الله تبارك وتعالى — والإيمان به قد أفردنا له جانبا خاصا به هو جانب الإلهيات . فإننا — تمشيا مع الترتيب المذكور فى القرآن والسنة — سنتكلم عن الملائكة .

والملائكة[٣] — عليهم السلام — عالم غيبى لا يعلم حقيقته إلا الله — تعالى — وهم قادرون على التشكل بأشكال حسنة ولا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتصفون بذكورة ، ولا بأنوثة ، ولا تحكم عليهم الصورة ، أى إذا تمثل الملك بصورة إنسان مثلا ، فلو حاول أحد إمساكه فلن يجد له أثراً .

وقد جردهم ربنا — سبحانه وتعالى — من الشهوات . فلا يتناكحون ولا يتناسلون ، بل قال الله لهم : كونوا على هذه الهيئة فكانوا عليها

---

(١) البقرة ٢٨٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ١٥٧ باب تعريف الإسلام والإيمان .

(١) الملائكة جمع ملك — بفتح اللام — وأصله (لأك) وقيل أصله ملك بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة ، وقيل الملأك هو الملك لأنه يبلغ عن الله — تعالى — ووزن الملأك المفعل ، والعين محذوفة من الملك .

ومسكنهم فى الدنيا السماء ، وينزلون إلى الأرض بأمر الله — تعالى — ، ومستقرهم فى الآخرة . الجنات .

ويجب على كل مكلف شرعا : الإيمان بالملائكة وذلك بأن يعتقد إعتقاداً جازماً بأنهم موجودون وبأنهم مكرمون ، وبأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »(١) .

وأثبت القرآن الكريم ضلال من كفر بالملائكة حيث قال — سبحانه — «ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً »(٢) .

ومن وصفهم بأنوثة كفر ، وأولى بالكفر من وصفهم بخنوثة لمزيد التنقيص لهم ، ومن قال إنهم ذكور فسق أى إرتكب معصية صار بها فاسقا ، وأما المنع من وصفهم بالذكورة فسببه أن الله — تعالى — لم يصفهم بذلك . فالذى يصفهم بالذكورة يعتبر كاذباً مفتريا ، وبناء على عدم جواز وصفهم بالذكورة ، أو الأنوثة . يجب الإعتقاد بأنهم لا يتزوجون، ولا يتناسلون .

ومن الإفتراء على الله أيضا . القول بأنهم يأكلون أو يشربون ، فإن أمرهم غيبى لا يعلمه إلا الله — تعالى — ولا يجوز لنا أن نصفهم إلا بما وصفهم الله — تعالى — به . لا نزيد ولا ننقص .

---

(١) البقرة ٢٨٥
(٢) النساء ١٣٦

أعمال الملائكة وصفاتهم

والملائكة أعمالهم كثيرة ، وصفاتهم متعددة ، ومنهم المسبح ، والمكبر والمهلل ، والراكع ، والساجد ، والقائم ، وحملة العرش ، والحافون حوله ، وأمناء الوحى ، والسياحون فى الجهات ، والموكلون بالأرواح والأرزاق والأمطار ومنهم الحفظة وهم ملائكة تتعاقب على الإنسان ليحفظوه بأمر الله ، ويدفعون عنه المكروه ، وإذا جاء القدر تخلوا عنه ، والراجح أنهم عشرة بالليل ، وعشرة بالنهار قال تعالى : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة »(١) ، وقال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »(٢) أى يحفظونه بأمر الله .

ومنهم الموكلون بقبض الأرواح ورئيسهم ملك الموت والموكلون بالأرزاق ورئيسهم — ميكائيل — والموكلون بالجنة ورئيسهم — رضوان والموكلون بالنار ورئيسهم - مالك - ومنهم الكتبة وهم ملكان عن اليمين والشمال صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات قال تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد »(٣) .

ومنهم ملائكة ذكرت أسماؤهم فى كتاب الله تعالى — وهم ، جبريل وميكائيل ، ومالك ، فالواجب علينا بالنسبة لمن ذكر بنوعه أن نصدق بالنوع الذى ذكر كحملة العرش وغيرهم ، ومن ذكر بشخصه وجب علينا التصديق بشخصه كجبريل ، وميكائيل ، ومالك — عليه السلام .

---

(١) الأنعام ٦١ .　　(٢) الرعد ١١ .

(٣) ق ١٧ .

الدليل على وجود الملائكة ووجوب الإيمان بهم :

والأدلة على وجود الملائكة ، وعلى وجوب الإيمان بهم كثيرة فى كتاب الله ، وفى سنة نبيه ﷺ .

ففى القرآن الكريم جاء الكلام عن الملائكة بمناسبات مختلفة فى نحو خمس وسبعين آية .

فما ورد فى وجودهم ، ووجوب الإيمان بهم قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »(١) .

وقوله جل ذكره : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا »(٢) .

وفى وصفهم يقول سبحانه : « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »(٣) .

وقال — عز شأنه — : « وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون »(٤)

وفى تشكلهم بالأشكال الحسنة يقول — سبحانه — فى الذين نزلوا على سيدنا لوط — عليه السلام — فى صور آدميين شبان حسان الوجوه

---

(١) البقرة ٢٨٥ . (٢) النساء ١٣٦ .
(٣) الأنبياء ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ (٤) الأنبياء ١٩ ، ٢٠ .

« قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك »(١) .

وقال تعالى فى شأن جبريل — عليه السلام — حينما أرسله إلى الصديقة مريم ليبشرها بحملها بعيسى عليه السلام : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا »(٢) .

وأنكر الله على الكفار وصفهم الملائكة بالأنوثة ، وتوعدهم على ذلك ، قال تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون »(٣) .

وفى الحفظة الذين يحفظون الإنسان من كل شر ، سوى ما قدر عليه قال تعالى — : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »(٤) .

أى للإنسان ملائكة يتناوبون حفظه من بين يديه ومن خلفه أمرهم الله بذلك ، وقد فصل الحديث مدة نوبتهم فقال ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم — ربهم — وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟ ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون »(٥) .

وفى حملة العرش يقول سبحانه : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا »(٦) .

---

(١) هود ٨١ . (٢) مريم ١٧ .
(٣) الزخرف ١٩ . (٤) الرعد ١١ .
(٥) رواه الشيخان والنسائى .
(٦) غافر ٧ .

وفى الكتبة الذين يكتبون الحسنات والسيئات قال رب العـــزة سبحانه : « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون »[١] .

وفى ملك الموت يقول — سبحانه : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم »[٢] .

وفى أعوانه قال — سبحانه : « حتى إذا جاء أحـــدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون »[٣] .

ومما قاله ربنا فى خزنة جهنم قوله — سبحانه : « يأيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون »[٤] .

وفى عدد هؤلاء الخزنة قوله — جل شأنه — : « وماأدراك ماسقر لاتبقى ولاتذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر »[٥] .

وفى خزنة الجنة قال — سبحانه : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »[٦] .

وفى ذكر جبريل وميكائيل قال — تعالى — : « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين »[٧] .

ويقول ربنا — سبحانه وتعالى — فى مالك رئيس خزنة النـــار : « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون »[٨] .

---

(١) الانفطار ١٠ ، ١١ ، ١٢ . (٢) السجدة ١١ .

(٣) الأنعام ٦١ . (٤) التحريم ٦ .

(٥) المدثر من ٢٧ : ٣٠ (٦) الزمر ٧٣ .

(٧) البقرة ٩٨ . (٨) الزخرف ٧٧ .

وتوجد أنواع كثيرة من أعمال الملائكة ذكرها القرآن الكريم فى العديد من آياته، فليرجع إليها من أراد إحصاءها .

وكما ورد ذكر الملائكة فى العديد من الآيات القرآنية .

فقد ورد فى كثير من أحاديث رسول الله ﷺ – التنصيص على أن الإيمان بالملائكة جزء من أركان العقيدة الإسلامية .

من هذه الأحاديث ما جاء فى الحديث المشهور الذى يرويه عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – المتضمن أسئلة جبريل عليه السلام – للرسول ﷺ عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والساعة .

وقد جاء إلى مجلس الرسول ﷺ – على صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة أحد . وفيه قال جبريل للرسول ﷺ : « فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت »[1] .

كما جاء فى أحاديث أخرى إثبات أن الرسول ﷺ قابل بعض الملائكة وفى مقدمة الأحاديث المثبتة لذلك أحاديث بدء الوحى ، واستمرار نزوله على الرسول ﷺ بعد فترة الوحى وهى متواترة فى معناها .

فمن الحديث الذى روته عائشة رضى الله عنها عن بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو فى غار حراء قولها : « فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال :

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ج ١ ص ١٥٧ – فى تعريف الإسلام والإيمان .

اقرأ . قال : قلت : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد . فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم »(١) .

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ . فقال : قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى : « فبينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض .

قال رسول الله ﷺ ، فجئثت(٢) منه فرقاً ، فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى ، فدثرونى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر »(٣) وهى الأوثان . قال : ثم تتابع الوحى(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٢ ص ١٩٩ باب الوحى إلى رسول الله ﷺ .

(٢) فجئثت بجيم مضمومة بعدها ثاءان مثلثتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة ثم تاء الضمير أى فزعت . وفى رواية البخارى فرعبت .

(٣) المدثر من ١ : ٥

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٢٠٥ ، صـ ٢٠٦ باب بدء الوحى إلى الرسول ﷺ .

حكم من أنكر الملائكة :

لقد ثبت وجود الملائكة بالقرآن الكريم ، وبالسنة النبوية الشريفة ، وبإجماع المسلمين ، فمن أنكر وجودهم فقد كفر لأنه أنكر شيئاً علم لنا من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية ، فإنكاره الملائكة إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة عند المسلمين فيكون كافراً .

من أي شيء خلقوا وما حقيقتهم :

لقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن الملائكة خلقت من نور .

فقد روت عائشة أن النبي - ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(١) .

أما حقيقتهم فالله أعلم بها ، ولا نستطيع أن نعرف من حقيقة الملائكة إلا ما جاءنا من كتاب ربنا ومن سنة نبينا محمد — ﷺ لأننا بحسب العادة لا نتصل بهم عن طريق الحس اتصالا يفيد العلم اليقيني حتى نكشف حقيقتهم ونتبين تكوينهم ، وحسبنا في العقيدة أن نقتصر على ما وردت به النصوص .

والذي ورد في ذلك أن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع أو أكثر من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨ ص ١٢٣ — باب في أحاديث متفرقة .

ذلك . قال تعالى : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير »(١) .

وورد أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح .

ففى الصحاح عن عائشة أن رسول الله ﷺ (رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين . له ستمائة جناح ، قد سد الأفق ، مرة ليلة عرج به إلى السماء عند سدرة المنتهى ، وأخرى فى أسفل مكة بمكان اسمه — أجياد —)

ومما ورد فى شأن قوته — عليه السلام ، قوله تعالى : « ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين »(٢) .

كما ثبت بالدليل القطعى أن الملائكة أقوياء جدا ، فهم الذين حملوا قرى قوم لوط وقلبوها .

ومما ورد فى ذلك قوله تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد »(٣) .

ومنهم حملة العرش . قال تعالى : « وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »(٤) .

وبصيحة واحدة من ملك هلك قوم صالح قال عز شأنه : « إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر »(٥) .

---

(١) فاطر : الآية الأولى .
(٢) التكوير : ٢٠ — ٢١
(٣) هود ٨٢ — ٨٣
(٤) الحاقة ١٦ — ١٧
(٥) القمر ٣١

وبنفخة واحدة فى الصور من الملك يصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، وبنفخة أخرى يبعث الخلائق أجمعون ، قال تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »(١) .

وبالجملة . فالملائكة عالم خلقه الله تعالى على حقيقة يعلمها هو سبحانه وتعالى —

وهذا العالم من الملائكة ينفذ أوامر الله تنفيذا دقيقا ، وليس الله — تعالى — فى حاجة إليهم ولا إلى غيرهم لأنه — تعالى — غنى عن كل ماسواه ، لكنه كما قال — سبحانه — : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » (٢)

فالعالم كله عالمه وهو — سبحانه — مدبر أمره ، والأعلم بشأنه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء .

« الحكمة من الإخبار بوجود الملائكة ووجوب الإيمان بهم » .

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى ألا يترك الإنسان إلى عقله وحده بل أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وهؤلاء الرسل جاءتهم بالوحى الإلهى ملائكة قاموا بدور الوساطة والسفارة بينهم وبين الله يبلغونهم رسالات الله وينزلون عليهم الوحى كى يبلغوه بدورهم للناس . قال تعالى « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون »(٣)

---

(١) الزمر ٦٨ (٢) القصص ٦٨ (٣) النحل ٢

كما أقتضت حكمته تعالى أن يجعل الملائكة مسخرة لكثير من الأمور المتعلقة بالناس كنفخ الروح فى الأجنة ، ومراقبة أعمالهم ، والمحافظة عليهم ، وقبض أرواحهم ، وغير ذلك . فالملائكة لهم صلات كثيرة بنا فى أمور حياتنا ومعاشنا وأعمالنا بل وبعد مماتنا .

لذلك ولأمر الله لنا بأن نؤمن بهذه المخلوقات الغيبية كانت الحكمة فى الإخبار بوجود الملائكة وفى وجوب الإيمان بهم .

ولو — فرض جدلا — عدم وجود الملائكة لما وصلت الأرض بالسماء ولما سار الكون بهذا النظام البديع ولاضطربت أحوال الناس واختلت موازينهم .

اعتراضات على عصمة الملائكة والرد عليها :

يوجد كثير من الآيات القرآنية ، وكثير من الأحاديث النبوية التى تدل على أن الملائكة معصومون من الذنوب والأخطاء ومن مخالفة الله — تعالى — فى أى أمر من أوامره . وقد ذكرنا هنا بعضا من هذه الآيات وتلك الأحاديث . وكلها تؤكد عصمة الملائكة . وهـــذا رأى جمهور العلماء وهو القول الحق الذى نأخذ به وندين الله عليه . وما ورد فى القرآن الكريم مما يوهم غير ذلك يجب حمله على الوجـــه المناسب لعصمتهم .

ومن اعترض بأن : هاروت وماروت كانا ملكين — بفتح اللام — وأنهما علما الناس السحر ، وتعلم السحر لذات السحر يعد معصية فالملائكة إذن عاصون .

يجاب : بأن هاروت ، وماروت قيل : إنهما ملكين — بكسر اللام — وقرىء بذلك . وحينئذ فلا إشكال لأنهما آدميان .

ويجاب أيضا : بأنهما نزلا بأمر الله فى زمن كثر فيه السحر والسحرة . وكان السحرة يدعون أنهم أنبياء لأنهم يأتون بأمور خارقة للعادة ، فنزل الملكان فى صورة بشر وعلما الناس السحر كى يكذبوا السحرة فى ادعائهم النبوة وتعلم السحر للوقاية من ضرره لا مانع منه ، بل قد يكون مطلوبا ، وبهذا تثبت عصمة الملكين ، ويسقط الاعتراض الموجه إليهما .

ومن اعترض : بأن إبليس كان من الملائكة فعصى ربه حيث قص القرآن الكريم ذلك . فقال — سبحانه — : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) (١)

أجيب بأن الله وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . كما وصفهم فى أكثر من آية بأنهم سجدوا كلهم أجمعون قال تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » (٢) .

وقد ذكر القرآن أن إبليس كان من الجن فقال سبحانه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن عن أمر ربه » (٣) .

فإبليس على هذا ليس من الملائكة إنما هو من الجن الفاسقين ولئن قيل : كيف يكون من الجن والله قد استثناه من الملائكة كما جاء فى قوله تعالى : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) (٤)

---

(١) طه ١١٦ — (٢) الحجر ٣٠ ، ص ٧٣

(٣) الكهف ٥٠ — (٤) الحجر ٣٠ - ٣١

نرد على هذا بقولنا : إن الاستثناء — كما يقول علماء اللغة — إما أن يكون متصلا وذلك إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه مثل : نجح الطلبة إلا طالبا . فالطالب من جنس الطلبة .

وإما أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه مثل : نجح الطلبة الا حصانا . فالحصان ليس من جنس الطلبة ومع ذلك صح الاستثناء . فالله استثنى ابليس من الملائكة مع أنه ليس منهم حقيقة ، وصح الاستثناء لأنه استثناء منفصل .

وقد يقال : لم استثنى الله إبليس من الملائكة مع أنه ليس منهم ؟ فنقول : إذا كان إبليس ليس من جنس الملائكة حقيقة إلا أنه يعد منهم حكما لأنه قبل المعصية التى طرد بسببها كان شبيها بالملائكة فى شدة العبادة لله ، كما كان بعيدا كل البعد مثلهم عن المخالفة لأوامر الله لذلك أخذ حكمهم وإن كان من غير جنسهم . فسقط اعتراض المعترضين وثبتت العصمة للملائكة .

ومن اعترض بما أورده القرآن من قول الملائكة لله فى آدم — عليه السلام (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (١)

أجيب عن هذا الاعتراض : بأن الملائكة لم ترد بهذا القول أن تغتاب آدم ، ولا تظن به ظنا سيئا

كما أنها لم ترد تزكية نفوسهم كما يتوهم . إنما أرادوا السؤال عن الحكمة من خلق آدم فى الأرض وكانوا قد علموا عن الله — تعالى — ما سيحصل من ذريته من الإفساد أو كان قولهم بسبب أن الأرض كانت

---

(١) البقرة ٣٠

مسكونة قبل آدم بمخلوقات أفسدت وسفكت الدماء فقالت الملائكة لله : أتجعل فى الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء مثل الموجودين بها ، وعلى ذلك .

فلا معصية من الملائكة : (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)(١)

وكل اعتراض وجه الى عصمة الملائكة . فهو مردود بالأدلة القوية . مما يؤكد العصمة للملائكة ، ويسقط كل الاعتراضات الموجهة اليهم .

---

(١) الأنبياء ٢٦ — ٢٧

الجن

من السمعيات أيضا التى جاءتنا من قبل الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم — الجن — .

والجن : عالم من العوالم الغيبية التى لا يعلم حقيقتها إلا الله — تبارك وتعالى — وهم مخلوقون من نار .

منهم المسلم والكافر ، والطائع ، والعاصى .

وقال الجوهرى : الجن خلاف الإنس ، والواحد جنى(١)

وسميت الجن بذلك لأنها تختفى ولا ترى . والجنة - بكسر الجيم - الجن ومنه قوله — تعالى — : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »(٢)

والجان : أبو الجن خلق من نار السموم(٣) ثم خلق منه نسله وهو مخلوق قبل آدم . قال تعالى : (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)

أما الشياطين : فهم الكفرة المردة من عالم الجن ، وهم أجسام نارية شأنها إضلال الناس ، وإلقاؤهم فى الغواية والهلاك .

وقد اختلف العلماء فى الفرق بين الجن والشياطين فهناك رأى يقول :

---

(١) الصحاح جـ ٥ صـ ٢٠٩٣

(٢) هود ١١٠

(٣) السموم الريح الحارة القاتلة . قيل : سميت بذلك لأنها تنفذ فى مسام البدن

(٤) الحجر ٢٧

هما جنس واحد ، ويطلق الشيطان على المتمرد من الجن وهو رأى جمهور العلماء وهو الراجح الذى نرتضيه .

وتدل عليه الأدلة التى منها قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)(١) .

وقوله سبحانه مخاطباً إبليس : (قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك . قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)(٢) .

وقوله — تبارك وتعالى — على لسان إبليس : (قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)(٣)

ويوجد رأى يقول : إن حقيقة الجن متغايرة مع حقيقة الشياطين . فالجن أجسام هوائية لطيفة تتشكل بالأشكال المختلفة ، وتظهر منها الأفعال العجيبة .

أما الشياطين : فهى أجسام نارية شأنها إضلال الناس وإلقاؤهم فى الغواية والهلاك .

وهذا الرأى لانرتضى منه تعريف الجن بأنهم أجسام هوائية ،لأن ذلك يخالف ما جاءت به الأدلة القرآنية التى ذكرناها هنا بعضها ،ويخالف الأحاديث النبوية التى منها ماروته عائشة — رضى الله عنها — أن النبى — ﷺ — قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار(٤) وخلق

---

(١) الكهف ٥٠ (٢) الأعراف ١٢
(٣) الأعراف ١٦ — ١٧
(٤) المارج هو اللهب الصافى الذى لادخان فيه .

آدم مما وصف لكم)(١) أى خلق من الطين . وكما يوجد فى الجن شياطين يوجد فى الإنس أيضاً شياطين ، وهم وإن كانوا من جنس بنى آدم إلا أن القرآن الكريم أطلق عليهم شياطين لأنهم أخذوا وظيفة شياطين الجن وهى إغواء الناس والبعد بهم عن الطريق السوى . قال — تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)(٢)

من أى شيء خلق الجن وماحقيقتهم ؟

مما أثبتناه من الآيات القرآنية ، ومن حديث عائشة السابق يتبين لنا أن الجن خلق من النار ، وهى نار مخصوصة لهبها صاف لادخان فيه وجدت هذه النار من السموم التى هى الريح الحارة القاتلة .

وأما حقيقتهم التى خلقوا عليها فالله أعلم بها لأنه لم يردمايدل عليها ، ولكن العلماء استنبطوا من الأدلة الكثيرة الصحيحة التى مر بعضها — وسيأتى بعضها — : أن الجن والشياطين والعفاريت أجسام حية لطيفة نارية قادرة على التشكل بأى شكل حسناً كان أو قبيحا . وقادرة على أن تنفذ فى الأجسام نفوذ الهواء المستنشق ، وتسرى فيها سريان الماء فى العود الأخضر ، وتحكم عليهم الصورة أى إذا تمثل الجنى فى صورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك وأراد أحد الإمساك به أو لمسه كان له جسم حقيقى . وهم يأكلون ويشربون وينامون ويعقلون ، ومنهم ذكور وإناث ، ويتزوجون ويتناسلون ، وأن منهم الطائع ، ومنهم العاصى ، ومنهم المسلم ، ومنهم الكافر . إقرأ قول الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ١٢٣ أحاديث متفرقه - الزهد
(٢) الأنعام ١١٢

ـ تعالى : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم)(١) . وقوله تعالى : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)(٢)

وقوله عن إبليس : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)(٣)

وقوله : (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا)(٤)

وقوله : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)(٥)

وقد وردت كلمة الجن فى القرآن الكريم تسعا وعشرين مرة كما تعرض للحديث عنهم فى نحو أربعين آية ، كما خصص ربنا ـ سبحانه ـ سورة أسماها سورة الجن أورد فيها الكثير من أحوالهم .

وقد سمعت الجن النبى — ﷺ — بدون أن يراهم أول مرة وفى هذه المرة نزل قوله تعالى . (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم . ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين)(٦)

وجاء داعيهم إليه ﷺ بعد ذلك . فذهب ﷺ إليهم ووعظهم وعلمهم

---

(١) الأعراف ٢٧ (٢) الجن ٦

(٣) الكهف ٥٠ (٤) الجن ١١

(٥) الجن ١٤ — ١٥ (٦) الأحقاف من ٢٩ : ٣٢

لأنه مرسل إليهم — كما بينا ذلك عند الحديث عن عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ للبشر وغيرهم — ويدل على ذلك أيضا ماجاء عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال ماصحبه منا أحد ، ولكن افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة . فقلنا ، اغتيل أو استطير(١) مافعل به؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى إذا أصبحنا ، أو كان وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء . قال : فذكروا له الذى كانوا فيه فقال : أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم ، فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد ، فقال . لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه(٢) يقع فى أيديكم أوفر مايكون لحما ، وكل بعرة أو روثة (٣) علف لدوابكم فقال ﷺ أى لصحابته — فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن »(٤)

فالحديث يدل على اجتماع النبي ﷺ بالجن ورؤيته لهم ودعوتهم إلى الله ووعظهم بالقرآن . كما يدل على أنهم يأكلون ويشربون . ويؤكد ذلك مارواه مسلم وأبو داود ومالك والترمذى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال (لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها)(٥)

---

(١) اغتيل . أى قتل سرا وهو مبنى للمجهول ، استطير بصيغة المجهول أى طارت به الجن حسب ما كان يعتقده العرب فى الجاهلية .

(٢) هذا لمؤمنهم . أما غير المؤمنين منهم فطعامهم مالم يذكر اسم الله عليه كما فى رواية الترمذى

(٣) هى فضلات الإبل والدواب والأنعام

(٤) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح

(٥) الموطأ : باب النهى عن الأكل بالشمال ج ٢ ص ٩٢٢

دليل وجود الجن وحكم الإيمان بهم :

لقد ثبت بالدليل القطعى وجود الجن والشياطين . وقد مرت آيات قرآنية وأحاديث نبوية فى هذا المقام تؤكد وجودهم كما أجمع المنصفون من الأمة الإسلامية على وجودهم ، وعلى هذا أصبح الإيمان بوجودهم معلوماً من الإخبارات الإلهية بالضرورة ، ولم يخالف أحد ممن يعتد به من طوائف المسلمين فى وجود الجن .

ولقد أول البعض النصوص التى ذكرت الجن بحمل معنى الجن على أنواع الشر فى النفس البشرية ، أو أن المراد بالجن هم الملائكة فهم متحدون مع الملائكة فى أصل الخلقة وإن كانوا يفترقون عنهم فى أن الملائكة يتسمون بالخيرية والجن يتصفون بالصفات الشريرة .

وهذه تأويلات لم تستقم مع النصوص القرآنية ولا الأحاديث النبوية فضلا عن أنها مجانبة لمنطق العقل السليم ، والتفكير المستقيم .

ولئن كان هؤلاء المتأولون لم ينكروا وجود هذا النوع من الخلق(١) فقد وجد من فلاسفة القدماء ومتفلسفة المحدثين من ينكر الجن وكل مالهم من أدلة فى هذا المقام هو أن حواسهم لم تثبت لهم وجود الجن . لذلك فإنهم يجزمون بعدم وجودهم .

ولقد ثبت أن مباحث العقيدة لايتوقف ثبوتها على الحواس لذلك لايصح الاعتماد عليها بحال من الأحوال وخاصة أن مسالك اليقين غير منحصرة فى الإدراك الحسى ، فهناك مسلك الاستنتاج العقلى، ومسلك الخبر

---

(١) إقرأ تفسير سورة الجن للدكتور / محمد البهى وانظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده عند الحديث عن الجن .

الصادق ، ويكفى لإثبات حقيقة من الحقائق الاعتماد على أى مسلك يقينى منها .

ويظهر سقوط استدلال هؤلاء المنكرين — بشكل خاص — بعد أن كشف العلم الحديث من خفايا الكون الشيء الكثير وأظهر من القوى المعنوية الكامنة فى هذا الكون مايدهش العقول .

ولا يزال العلم مطرداً فى بحثه وكشفه حتى كادت العقول أن تسارع بالتسليم بالمستحيلات فضلا عن الممكنات ووجود الجن أمر ممكن عقلاً، وليس هناك أى دليل عقلى يثبت استحالة وجودهم . ويتوقف إثبات وجودهم على واحد من أمرين :

(أ) إما الكشف الحسى .

(ب) وإما الخبر اليقينى الصادق .

أما الكشف الحسى فلم يثبت لنا به وجودهم بطريق قاطع يقينى . ولا نستطيع إثبات ذلك فى الأحوال العادية بطريق قاطع يقينى أيضاً ، وإنما ثبت لنا وجودهم بطريق الخبر القاطع الصادق . فنحن نعتقد فى وجودهم ونسلم به تسليما دون أى تردد أو اعتراض .

فالإيمان بالجن واجب على كل مكلف من المسلمين ومنكر وجودهم كافر خارج عن الملة الإسلامية . لأن إنكار وجود الجن يترتب عليه أمران :

الأول : إنكار أمر علم ثبوته من الدين بالضرورة .

والثانى : تكذيب الخبر المتواتر الوارد إلينا فى القرآن بشأن وجودهم وهو يتنافى مع الإيمان بالله — عز وجل — كما يتنافى مع القرآن الكريم الذى هو كتاب الله المعجز .

مسكن الجن :

الجن يسكنون الأرض، ويجوبون كل مكان منها وأكثر ما يتواجدون فيه الأماكن المهجورة والمناطق القذرة، والمقابر، والحمامات، والأماكن التي تكثر فيها المعاصي كالأسواق ونحوها .

روى مسلم من حديث سلمان قال : قال رسول الله - ﷺ - : (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها تركز[1] رايته) .

وروى مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: (إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه . قال الشيطان - أى لمن معه من الشياطين - لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا ذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكره عند طعامه يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم، وإذا لم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت والعشاء) .

وروى أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله - ﷺ - (إن هذه الحشوش[2] محتضرة[3] فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث)[4] .

---

(١) تركز رايته : أى تنصب .

(٢) الحشوش - بضم الحاء المهملة - جمع حش بفتح الحاء وضمها أيضاً - والحش هو البستان، وهو أيضاً المكان الذى يقضى فيه الإنسان حاجته وهو المراد هنا .

(٣) محتضرة أى يحضرها الشياطين يترصدون بنى آدم بالأذى .

(٤) الخبث - بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة التحتية جمع خبيث . والخبائث جمع خبيثة وهم ذكور الشياطين وإناثهم . والأخبثان : البول والغائط .

هل فى الجن أنبياء منهم أم لا ؟

بعد بعثة نبينا محمد - ﷺ - لم يوجد فى الجن نبى من الإنس ولا من الجن ، وذلك لأن بعثته - ﷺ - كانت عامة إلى جميع الإنس والجن - كما ذكرنا سابقاً فى عموم بعثة نبينا محمد - ﷺ - وكما جاء ذلك فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . يؤكد ذلك قوله تعالى : (قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)(١).

ويدل على ذلك أيضاً حديث علقمة السابق الذى أوردناه فى هـذا المقام ، والذى يدل على اجتماع النبى - ﷺ - بالجن ورؤيته لهم ، ودعوتهم الى الله ، ووعظهم بالقرآن الكريم أما قبـل بعثة نبينا محمد - ﷺ - فقد اختلف العلماء فى الرسل والأنبياء الذين كانوا يأتون الى الجن هل كانوا من الإنس أم من الجن ؟.

قال جمهور العلماء سلفاً وخلفاً : (لم يأت للجن رســول منهم أبداً وقد جاءهم رسل من الإنس . ونقل معنى هذا عن ابن عباس ، وابن جريج ، ومجاهد ، والكلبى ، وأبى عبيد ، والواحدى)(٢) .

وقال الضحاك ، وابن حزم ، وغيرهما : لم يرسل الى الجن قبل نبينا محمد - ﷺ - رسول من الإنس . ويقول ابن حزم : وباليقين ندرى أنهم قد أنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم . قال الله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا)(٣).

---

(١) الجن ١ — ٢

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٧

(٣) الأنعام ١٣٠

وبما أن الجن ليسوا من الإنس فلم يرسل لهم من الإنس رسول قبل نبينا محمد - ﷺ - فيما قال : « وقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) فالرسل الذين جاءوا إلى الجن قبل نبينا محمد - ﷺ - كانوا منهم بنص الآية القرآنية .

(وذهب فريق ثالث إلى أن الجن لم يرسل لهم رسول ، ولم يأت لهم نبي منهم ولا من الإنس ، وإنما كان فيهم منذرون منهم . والدليل على وجود المنذرين منهم قوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين)(١) .

وأما أنه لم يرسل لهم رسل ولا أنبياء منهم فلقوله تعالى : (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى)(٢) . فالآية بينت أن الرسل المبعوثين كانوا من أهل القرى وقصرتهم على ذلك ، والجن لا ينطبق عليهم أنهم من أهل القرى)(٣) .

والذى نرتضيه من هذه الأقوال أن الجن لم يرسل اليهم رسول ولا نبي منهم ، وأنه أرسل اليهم من الإنس .

ونجيب عن آية : (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) بأن المراد بقوله (منكم) أى بمجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس .

---

(١) الأحقاف ٢٩
(٢) يوسف ١٠٩
(٣) انظر ابن كثير ج٢ ص١٧٧ والفخر الرازى المجلد السابع ص٢٠٥

تحقيق القول فى ثواب الجن وعذابهم :

لقد أثبت القرآن الكريم أن الجن منهم الصالح ومنهم الطالح ، ومنهم المسلم ، ومنهم القاسط أى الجائر عن الحق . قال تعالى : (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)(١) .

ولما كان الجن أحياء عقلاء وكانوا مأمورين منهيين فإنه يكون لهم ثواب إن أطاعوا وعقاب إن عصوا . والذى يؤكد أنهم مأمورون ومنهيون أن نبينا محمدا — ﷺ — قد أرسل إليهم .

ولقد أجمع العلماء على أن كافرهم معذب . أما مؤمنهم فقد اختلفوا فيه .

يقول الإمام ابن كثير : (والحق أن مؤمنهم كمؤمنى الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف بدليل قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان)(٢) .

فقد امتن الله تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة . وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولى أبلغ من الإنس فقالوا : [ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد] فهذه الآية عامة فى الإنس والجن . فهى من أول الأدلة على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا)(٣) .

---

(١) الجن من ١١ — ١٥

(٢) الرحمن ٤٦ — ٤٧

(٣) راجع ابن كثير ج ٤ عند تفسير سورة الرحمن .

فلم يكن الله - تعالى - ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم . وإذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى .

وقال الإمام ابن تيمية : (إن كافرهم يعذب فى الآخرة باتفاق العلماء ، وأما مؤمنهم : فجمهور العلماء على أنه فى الجنة ، وقد روى أنهم فى ربض الجنة(١) تراهم الإنس من حيث لا يرونهم . وهذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وعن أبى يوسف ومحمد وهما من أتباع أبى حنيفة . وقيل: إن ثوابهم النجاة من النار . وهذا القول مأثور عن أبى حنيفة)(٢) .

وطالما أن الجن مكلفون فإنه لا معنى للتكليف إن لم يعقبه حساب فثواب أو عقاب . كما يحاسب البشر على أعمالهم . قال - تعالى - : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)(٣) أى خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .

والذى نرتضيه من هذه الأقوال وتلك الآراء أن مؤمن الجن يدخل الجنة وينعم بها وأن كافرهم يعذب بنار أعدها الله لهم .

---

(١) ربض الجنة أى حولها .
(٢) راجع الفتاوى الكبرى جـ١٩ ص ٣٨ ، ٣٩
(٣) الأعراف ١٧٩

صلة الجن بالإنسان

إن اتصال الجن بالإنس ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة غير أنه اتصال من نوع خاص فهو ليس كاتصال الإنس بالإنس لأن الجن كما عرفنا عالم غيبي يرانا ولا نراه، وليس اتصال المشاركة في الآلام والآمال كما هو الشأن بالنسبة للصلة بين الإنسان والإنسان إنما هو اتصال يناسب طبيعة كل منهما وفي الحدود التي رسمتها سنن الله — تعالى — وقوانينه الكونية والشرعية .

فالجن موجودون في كل مكان يكون فيه الإنسان ، ويحضرون أكله ، وشربه ، ومآدبه ، ومجالسه لايفارقونه أبداً إلا أن يحجزهم عنه بذكر اسم الله — تعالى — .

والجن الكافرون أو الفاسقون مسلطون على الإنسان بالوسوسة والإغراء والإضلال ، وأحيانا بالتمثل والتشبه بأشياء تزيد من إضلالهم للإنس وتكفيرهم ، وأحياناً يلبسون جسم الإنسان ويعيشون فيه بكيفية لايعلمها إلا الله — تعالى — فيصاب الإنسان عن طريقهم بمرض من الأمراض كالصرع ، والجنون ، والتشنج . وغير ذلك ، وكل هذا بقضاء الله وقدره ، فكما أن الإنسان يصاب عن طريق إنسان مثله ببعض ما أراد الله من إصابات جسدية ، أو أمراض عضوية ، أو مصائب شخصية ، أو غيرها ، فكذلك يصاب عن طريق الجن بما ذكرنا من أمراض ، أو أصابات إذا قدر الله ذلك وشاءه .

أما الصالحون من الجن ؛ فشأنهم شأن صالحي الإنسان لا يفعلون إلا الخير ولا يسعون إلا فيه .

ولما كان الإنسان قد خلقه الله ذا إرادة حرة يتمكن بها أن يختار

أفعاله الاختيارية من غير تأثير عليه من أحد، ولا سبيل للشيطان — الذى هو من كفرة الجن — بالتسلط على إرادته الحرة واختياره ، وغاية ما يستطيعه الشيطان هو الوسوسة للإنسان بتزيين الخطيئة له ، وهذا هو محل اختيار الإنسان وامتحانه وفى مقابل ذلك وضع الله فى فطرة الإنسان حاسة إدراك الخير والطاعة ، وألهم هذه الفطرة التمييز بين تزيين الشيطان للإثم والخطيئة ، وإكرام الله للإنسان بالبر والخير والطاعة ، قال تعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(١) .

وقال ﷺ :(إن للشيطان لمة(٢) من ابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق ،وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق، ثم تلا قول الله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)(٣) ،

وتأكيداً لهذا الإمتحان ، وتحقيقاً له فقد أوكل الله بكل مخلوق قريناً من الجن يوسوس له ، ويزين له الشر ويأمره به وقرينا من الملائكة يحثه على الخير ويذكره بأمر الله .

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : (مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرين من الجن ، وقرينه من الملائكة ،قالوا وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم(٤) فلا يأمرنى إلا بخير) .

---

(١) الشمس من٧ — ١٠

(٢) اللمة المس الخفيف والشىء القليل .

(٣) البقرة ٢٦٨

(٤) فأسلم — بفتح الميم أى آمن بالله عن طريق ، أو أسلم بمعنى استسلم لى وانقاد، ويجوز ضم الميم ، فيكون المعنى ، فأسلم أنا منه .

وخلاصة القول فى هذا : أن الجن لا يستطيع التسلط على الإرادة الحرة الإختيارية فى الإنسان كما دلت على ذلك النصوص العديدة ، فالجن لاسلطان له على الإنس فى عقائدهم ، ولا سلطان له فى توجيه إرادتهم الحرة للأعمال السيئة قال تعالى : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)(١) .

أما قدرة الجن على تسلطه على الإنسان فذلك يكون فى غير الإرادة الحرة وتأخذ صوراً وأشكالا متعددة منها :

أولا : أن يكون ذلك فى صورة حلم مزعج يراه النائم فى منامه وفى ذلك يقول الرسول — ﷺ : (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ بالله ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره)(٢) :

وقد روى الترمذى ، وأبو داود من قول الرسول ﷺ : إذا فزع أحدكم فى النوم فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه ، وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون . فإنه لا يضره .

ثانياً : وأحيانا يأخذ صورة مرض كالصرع ونحوه قال ابن تيمية : (وليس فى أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن فى بدن المصروع وغيره ، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذبه فقد كذب على الشرع وليس فى الأدلة الشرعية ما ينفى ذلك)(٣) .

بل قد وجد من الأدلة الشرعية ما يؤكد وقوع ذلك ، منها : مارواه

---

(١) الحجر ٤٢

(٢) أخرجه البخارى .

(٣) الفتاوى الكبرى جـ١٩ ص ٥٧

أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وأبو قاسم الطبراني من حديث أم أبان بنت الوازع عن أبيها أن جدها انطلق إلى رسول — ﷺ — بابن له مجنون ، أو ابن أخت له فقال : يارسول الله : إن معى ابنا لى أو ابن أخت لى مجنون أتيتك به لتدعو الله — تعالى — له .

قال : (ائتنى به قال فانطلقت به إليه وهو فى الركاب فأطلقت عنه وألقيت عليه ثياب السفر ، وألبسته ثوبين حسنين ، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله — ﷺ — فقال : أدنه منى وأجعل ظهره مما يلينى .

قال : فأخذ بمجامع ثوبه بين أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطه .

ويقول : أخرج عدو الله ، فأقبل — يعنى المريض — ينظر نظر الصحيح ليس بالنظر الأول ، ثم أقعده رسول الله — ﷺ — بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له ، فلم يكن فى الوفد أحد — بعد دعوة رسول الله — ﷺ — يفضل عليه) أى ما كان أحد بعد ذلك بأفضل منه .

الوقاية من أذى الشياطين

الإنسان مأمور بأن يقى نفسه من كل أذى يؤذى جسمه أو صحته ، أو روحه ، أو عقيدته .

ومن جملة ما أمر به أن يق نفسه شر الشياطين ، وعصاة الجن بأن يظل دائماً مع ربه يذكره ولا ينساه ، وإن نزغه من الشيطان نزغ فعليه أن يلجأ إلى مولاه يستعين به ويستنصره على الشيطان وحزبه ، وصدق الله حيث يقول : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)(١).

والشياطين يحضرون كل شيء للإنسان ويريدون أن يفسدوا عليه حياته يؤكد هذا ما رواه مسلم والترمذى من حديث جابر عن رسول الله — ﷺ — قال : (ان الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضر عند طعامه) .

فإذا ذكر الإنسان ربه حصن نفسه من أذى الشيطان فلا يضره أبداً ففى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله — ﷺ — (لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتى أهله قال : باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان) .

واذا نسى الإنسان ذكر الله عند دخول بيته أو تناول طعامه فإنه يعطى للشيطان فرصة أن يبيت عنده ، وأن يشاركه طعامه .

---

(١) الأعراف ٢٠٠ — ٢٠١

روى مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: (إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان ـ أى لمن معه من الشياطين ـ لامبيت لكم ولاعشاء ، وإذا ذكر الله عند دخوله ولم يذكره عند طعامه يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإذا لم يذكر اسم الله عند دخوله : أدركتم المبيت والعشاء) .

وإذا كان المسلم متيقظاً لمكايد الشيطان ويردها بذكر اسم الله فإن الشيطان لا ييأس منه ، بل يحتال عليه من جهات متعددة وبأنواع متباينة كأن يحتال على صبى صغير، أو جارية لاتعى، أو غافل عن ذكر الله فيدخل عن طريقهم إلى مايريده فى بيت هذا المسلم .

يؤكد هذا مارواه مسلم وأبو داود عن حذيفة قال: (كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ ـ أى طعاماً ـ لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ـ ﷺ ـ فيضع يده ، وإنا حضرنا مرة معه طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع(١) فذهبت لتضع يدها فى الطعام ، فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ بيدها ثم جاء أعرابى فكأنما يدفع فذهب ليضع يده . فأخذ يده، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : إن الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه . وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به، والذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع يديهما).

والشياطين تنتشر فى الأرض أول الليل ، وعلى المسلم أن يمنع صغاره من الخروج للعب خارج البيت فى ذلك الوقت، فإذا انقضى جزء من الليل فلا بأس بخروج الصغار للعب إن أرادوا مع تحصينهم بذكر اسم الله ، وعلى المسلم أيضاً أن يحصن باسم الله كل ما فى بيته من أوان وأدوات يستعملها فى حياته ، ففى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال : قال

---

(١) أى جاءت مندفعة تريد أن تضع يدها أولا .

رسول الله — ﷺ — إذا كان جنح (١) الليل وأمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهبت ساعة من الليل خلوهم (٢) وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله تعالى وخمروا (٣) آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً (٤) وأطفئوا مصابيحكم).

ومن أعظم ما ينتصر به الإنسان على الشياطين آية الكرسي فقد ثبت في صحيح البخاري أن أبا هريرة قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو (٥) من الطعام فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله — ﷺ يا أبا هريرة مافعل أسيرك البارحة؟ قلت: يارسول الله شكى حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته وخليت سبيله. قال: أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله — ﷺ — فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله — ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال. لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله — ﷺ — يا أباهريرة مافعل أسيرك؟ قلت يارسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال: أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته: فقلت: لأرفعنك الى رسول الله — ﷺ — وهذا آخر ثلاث

---

(١) أي أول الليل.
(٢) أي اتركوا أولادكم للخروج.
(٣) أي غطوا آنيتكم.
(٤) أي فإن لم تجدوا ماتغطون به أوانيكم فضعوا عليها ولو عوداً مع ذكر اسم الله.
(٥) يحثو من الطعام أي يأخذ منه.

مرات تزعم أنك لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ماهن؟ قال: إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله — ﷺ —: مافعل أسيرك البارحة؟ قلت يارسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: ماهي؟. قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا — أي الصحابة — أحرص شيء على الخير، فقال ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت لا، قال: ذاك شيطان).

وحتى لا يتمكن الشيطان من إغواء المؤمن، وتزيين الخطيئة له، فعلى المسلم أن يحصن نفسه كذلك بقول الله سبحانه: (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)(١).

وبقوله عز شأنه: (قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد)(٢).

وبقوله تعالى: (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس)(٣).

والمؤمن إذا حصن نفسه باسم الله وكان دائماً في طاعة مولاه فإنه يقطع على الشيطان محاولاته ويسد عليه مسالكه إليه وفوق ذلك فإنه يتمكن من

---

(١) سورة الإخلاص.
(٢) سورة الفلق.
(٣) سورة الناس.

الشيطان ويسيطر عليه ، يؤكد هذا ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: (إن المؤمن لينضى(١) شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر).

فيكون المؤمن متأسيا برسول الله ﷺ وبالصفوة من الصحابة رضى الله عنهم فلقد تغلب النبي ﷺ على شيطانه ، كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قهر شيطانه حتى فر منه ، ولقد روى الترمذي وأحمد أن النبي ﷺ قال : (إن الشيطان ليفر منك يا عمر) وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال لعمر : (إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك) .

---

(١) ينضى شيطانه أى يأخذ بناصية شيطانه ويسيطر عليه .

من خصائص الجن

لقد اختص الله سبحانه وتعالى الجن بخصائص كثيرة امتازوا بها عن العوالم الأخرى . من هذه الخصائص :

أولا : أنهم خلقوا قبل آدم عليه السلام .

والذى يؤكد ذلك أن الله تبارك وتعالى . لما خلق آدم وسواه ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود له فأطاعوا كلهم وكان إبليس معهم وقت أمر الله لهم فأبى واستكبر . قال تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)[١] . وأيضاً قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم)[٢] .

ثانياً : لم يطلع الله البشر على حقيقة أشكالهم .

لما كانت وسائل الحواس فينا نحن البشر محدودة الإدراك فإن الله لم يخلق فينا القدرة على معرفة حقيقة الجن التى خلقهم عليها ، ولحكمة إلهية حجب ربنا عنا رؤية الجن على حقيقتهم ، وإن كان الجن يرون الأناسى من حيث لا يرونهم . قال تعالى فى شأن الشيطان وأعوانه : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)[٣] .

لكن الله سبحانه وتعالى بين لنا فى آية أخرى أن شكل الجن بشع

---

(١) البقرة ٣٤
(٢) الحجر ٢٦ ، ٢٧
(٣) الأعراف ٢٧

مخيف . فحين أراد سبحانه أن يصف لنا ثمار شجرة الزقوم التى هى طعام أهل النار [١] شبه صورة تلك الثمار المفرعة بصورة رؤوس الشياطين. فقال عز شأنه مقارنا بين ما ينعم به المؤمنون وبين ما طعمه الكافرون : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين) [٢] .

ثالثاً : أن الجن يتناكحون ويتناسلون بكيفية يعلمها الله .

لقد بين لنا القرآن الكريم أن الجن فيهم رجال . فقال سبحانه : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [٣].

وما دام القرآن الكريم قد ذكر أن الجن يوجد فيهم رجال فلابد وأن يوجد فيهم إناث وإلا كان ذكره الرجال خاليا من الفائدة ولما كان فى الجن رجال وإناث كان التزاوج بينهم أمرا طبعياً وإلا لما كان لتنوعهم إلى رجال وإناث آية فائدة . ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الحور العين: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) [٤] . أى لم يسبق أن تزوج الحور العين أحداً من الإنس ولا من الجن . وهذا يعنى صحة التزاوج ويكون هذا التزاوج من رجالهم لإناثهم .

كما أثبت القرآن الكريم أن للجن ذرية قال تعالى محذرا بنى آدم من أن يتخذوا إبليس وذريته أولياء من دونه : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) [٥] . وتناكح الجن وتناسله

---

(١) كما قال تعالى فى الآيتين ٤٣، ٤٤ من سورة الدخان : (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)

(٢) الصافات من ٦٢ : ٦٥   (٣) الجن ٦

(٤) الرحمن ٧٤   (٥) الكهف ٥٠

يكون بطريقة خاصة به لم نعرف حقيقتها ولم يطلعنا الله عليها لا فى كتابه ولا عن عن طريق سنة نبيه .

هل يجوز التزاوج بين الإنس والجن ؟

اختلف فقهاء المسلمين فى جواز التزاوج بين الإنس والجن فالقلة منهم أجازته ، والكثرة منعته لأن الجن جنس غير جنس الإنس . فالتزاوج فى الجن لا يكون إلا بين رجالهم وإناثهم .

ولقد قرر بعض الفقهاء أنه لو ادعى رجل من الإنس أنه تزوج بأنثى من الجن فإنه يصدق لأن أولاده منها سيكونون مثلها فلن يظهروا لنا . ولن يوجد من ذلك اختلاط فى الأنساب فلا ضرر يعود على المسلمين من هذا الإدعاء .

ولو ادعت امرأة أنها تزوجت رجلا من الجن فإنها لا تصدق ، لأن أولادها سيكونون مثلها ، وفى ذلك فتح لباب من الفحشاء أوجب الإسلام إغلاقه . كما أن ذلك الإدعاء يوجد اختلاطا فى الأنساب والمسلمون أحوج ما يكونون إلى الابتعاد عنه(١) .

رابعاً : أن لهم القدرة على التشكل :

من الأمور التى هى من خصائص الجن قدرتهم على التشكل بالأشكال

---

(١) لمزيد فائدة فى هذا الموضوع إرجع إلى ما كتبه ابن تيمية فى الفتاوى وابن القيم فى كتابه (لقط المرجان فى أحكام الجان) والقاضى بدر الدين الشبلى الحنفى فى كتابه (آكام المرجان فى غرائب الأخبار وأحكام الجان) .

الحسنة أو القبيحة ، والفرق بين تشكل الجن وتشكل الملائكة أن الملائكة لا تتشكل إلا بالأشكال الحسنة فقط ، أما الجن فقد يتشكلون بالأشكال الحسنة أو القبيحة . وقد وردت نصوص تؤكد أن الله أعطى الجن قدرة على هذا التشكل .

ونحن وإن كنا لانستطيع أن نرى الجن على صورته الحقيقية إلا أننا نستطيع أن نراه إذا تشكل بأشكال مما يقع تحت دائرة الحس البشرى كتمثله بشكل إنسان أو حيوان أو نحو ذلك .

من هذا : تشكل الشيطان فى صورة إنسان من أشراف بنى كنانة .

ذكر ابن إسحاق وغيره فى سبب نزول قول الله تعالى : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالاترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب)(١) أن المشركين جاءوا إلى غزوة بدر ومعهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك الكنانى — وكان سراقة من أشراف بنى كنانة — وكانت قريش تخشى كنانة على نفسها . فقال لهم إبليس — وهو فى صورة سراقة — وأنا جار لكم أى أجيركم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس نكص على عقبيه وجرى فتشبث به الحارث بن هشام وقال له : انى أين ياسراقة ؟ أين تفر ؟ فلكمه إبليس لكمة طرحه على قفاه ثم قال : إنى أرى ما لاترون .

وتشكل الشيطان فى صورة إنسان مسكين كما جاء ذلك فى صحيح

---

(١) الأنفال ٤٨

البخارى لما عرض لأبى هريرة عندما كان يحرس أموال الزكاة (١) .

كما أنه تشكل فى صورة عبد أسود لعمار بن ياسر روى أبو نعيم عن الأحنف بن قيس قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: والله لقد قاتل عمار بن ياسر الجن والإنس على عهد رسول الله ﷺ . فقلنا : هذا الإنس(٢) قد قاتل فكيف الجن ؟ . فقال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال لعمار : انطلق فاستق لنا من الماء ، فانطلق فعرض له الشيطان فى صورة عبد أسود فحال بينه وبين الماء فأخذه فصرعه عمار ، فقال له : دعنى وأخلى بينك وبين الماء ، ففعل ثم أبى ، فأخذه عمار الثانية فصرعه . فقال : دعنى وأخلى بينك وبين الماء فتركه ، فأبى فصرعه. فقال له مثل ذلك فتركه فوفى له . فقال رسول الله ﷺ : (إن الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء فى صورة عبد أسود وإن الله أظفر عماراً به) قال على : فلقينا عماراً ، فقلت : ظفرت يداك يا أبا اليقظان ، فإن رسول الله ﷺ قال كذا وكذا ، قال : أما والله لو شعرت أنه الشيطان لقتلته ، ولقد هممت أن أعض بأنفه لولا نتن ريحه .

كما أن الشياطين تتشكل كثيرا بشكل كلب أسود ، او قط أسود . فالرسول ﷺ قال : (الكلب الأسود شيطان) قال ابن تيمية : (الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً وكذلك بصورة القط الأسود ، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وفيه قوة

---

(١) ذكرنا الحديث بطوله عند الكلام عن الوقاية من أذى الشياطين ص ٣٨

(٢) أى نحن نعلم أنه قاتل الإنس

الحرارة) فابن تيمية اوضح قول الرسول ﷺ (الكلب الأسود شيطان) بأن الشيطان يتمثل به كثيراً .

وقد يتشكل الجن بأشكال أخرى فى صور الحيات والعقارب والإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ، وفى صور الطيور(١) .

وقد تشكل الجن فى صور لم تبين لنا النصوص حقيقتها إلا أن السنة بينت بعض صفاته وقت أن قبض الرسول — صلى الله عليه وسلم — على شيطان وخنقه .

روى النسائى على شرط البخارى عن عائشة — رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه ، قال رسول الله ﷺ : (حتى وجدت برد لسانه على يدى ، ولولا دعوة سليمان(٢) لأصبح موثقا حتى يراه الناس) .

---

(١) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج١٩ ص ٤٤

(٢) ذكر القرآن هذه الدعوة فى الآية ٣٥ من سورة ص وهى : (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب)

تنبيـــه

مما ذكرنا من الآيات والأحاديث يتأكد أنّ الجن يظهر فى أشكال كثيرة ، وفى أماكن متنوعة ، وأوقات متعددة ، وخصوصا أول الليل وآخره ، وفى الخرابات والأماكن المظلمة والصحارى والأماكن النجسة .

فعلى المسلم أن يأخذ دائما حذره فيكون متسلحا بسلاح الإيمان وأن يحصن نفسه بذكر اسم الله ، وعليه ألا يؤذى شيئا مما يظن أنه قد يكون منهم إلا بعد أن يظهر الجن أذاه ، ثم ينذره الإنسان ، فإن ظل الجن مصرا على أذى الإنسان ذكر اسم الله ورد إعتداءه ولو بقتله .

يقول ابن تيمية : (إن الجن إذا اعتدوا على الإنس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما يفعل بالإنس ، ولهذا نهى النبي — ﷺ — عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثا)(١) .

روى الترمذي والنسائى عن أبى سعيد أن رسول الله — ﷺ — قال : (إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا ؛ فإذا رأيتم من هذه الهوام(٢) شيئا فآذنوه(٣) ثلاثا ، فإن بدا لكم فاقتلوه) .

---

(١) انظر حـ ١٩ ص ٤٧ من الفتاوى الكبرى .

(٢) الهوام : جمع هامة ولا يقع هـــذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش وقد يتمثل الجن بها .

(٣) أى أعلموه وأنذروه ثلاث مرات بأنه إن لم يبتعد فستردون كيده وتؤذونه حتى ولو بالقتل .

وفى صحيح مسلم عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته قال : فوجدته يصلى فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكا فى عراجين(١) فى ناحية البيت فالتفت ، فإذا حية فوثبت لأقتلها ، فأشار إلى أن اجلس ؛ فجلست ، فلما انصرف(٢) أشار إلى بيت فى الدار فقال : أترى هذا البيت ؟ فقلت : نعم . فقال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس . قال : فخرجنا مع رسول الله — ﷺ — إلى الخندق(٣) . فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله — ﷺ — بأنصاف النهار ، ويرجع إلى أهله فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله — ﷺ — خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك قريظة(٤) . فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها ، وأصابته غيرة . فقالت : أكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها(٥) به ، ثم خرج فركزه فى الدار فاضطربت(٦) عليه فما يدرى(٧) أيهما كان أسرع موتا . الحية أم الفتى . قال : فجئنا إلى رسول الله — ﷺ — فذكرنا له ذلك ، وقلنا : أدع الله يحييه لنا . قال

---

(١) عراجين : جمع عرجون وهو الجزء الذى يبقى على النخل بعد قطع الجريد فإذا يبس أتوا به من على النخل لينتفعوا به .

(٢) أى فلما انتهى من صلاته .

(٣) أى إلى غزوة الخندق وكانت فى شوال من السنة الخامسة للهجرة وتسمى غزوة الأحزاب .

(٤) فئة من يهود كانوا مع من يقاتل رسول الله — ﷺ .

(٥) فانتظمها به : أى ركزه فيها .

(٦) أى انقضت عليه .

(٧) يدرى بالبناء للمجهول .

— ﷺ — (استغفروا لصاحبكم ثم قال: إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام . فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان) وقال لهم: (اذهبوا فادفنوا صاحبكم) .

يقول ابن تيمية : (وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق . والظلم محرم فى كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحدا ولو كان كافراً ، بل قال تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن [١] قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)[٢] .

والجن يتصورون فى صور شتى ، فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا . فإن ذهبت — فبها ونعمت — وإلا قتلت)[٣] .

(هل يتشكل الجن بصورة رسول الله — ﷺ — ؟) :

وينبغى مراعاة أن الجن ليست لديهم القدرة على التشكل بصورة رسول الله — ﷺ — فقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله — ﷺ — قال : (من رآنى فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتزيا بى[٤]) . فالشيطان لا يستطيع أن يتصور بصورة النبى — ﷺ — ولا أن يأتى لأحد فى المنام على صورته .

---

(١) أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم على أن لا تعدلوا .
(٢) المائدة ٨
(٣) الفتاوى الكبرى جـ ١٩ ص ٤٤ بيعض تصرف .
(٤) أى من رآنى فى المنام فرؤياه صادقة لأن الشيطان لا يتمثل فى صورتى .

خامسا : قدرة الجن على الأمور الشاقة :

لقد وهب الله الجن طاقات كبيرة ، وقدرات خارقة بالنسبة إلى طاقات البشر وقدراتهم ، من ذلك :

● قدرتهم على الصعود إلى السماء للتسمع ، واستراق السمع ، وكان ذلك ميسراً عليهم قبل بعثة النبي محمد — ﷺ — أما بعد بعثته ، فإنهم يصعدون الى السماء كي يسترقوا السمع فترصدهم الشهب وحراس السماء ، فلا يستطيعون استراق شيء من خبر السماء إلا شيئا سمعوه من الملائكة وهم فى السحاب فتسترقه الشياطين وتوحيه الى الكهان مع اضافة مائة كذبة على الذى استرقوه . قال تعالى :(وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديداً وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)(١) .

وروى البخارى عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : (سمعت رسول الله — ﷺ — يقول : ان الملائكة تنزل فى العنان(٢) فتذكر الأمر قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) فاستراق السمع فى الحديث إنما كان بعد نزول الملائكة بالأمر إلى السحاب وهو محيط الأمر ، وليس من السماء كما كان الحال قبل بعثة نبينا محمد — ﷺ .

● كما أن لهم القدرة على التنقل فى جنبات الأرض كلها فى الوقت الوجيز فينتقلون من المشرق إلى المغرب وبالعكس فى لحظة يسيرة . ويقدرون كذلك على حمل الأحمال الثقيلة فى المسافات البعيدة مثل حمل

---

(١) الجن ٨ — ٩

(٢) العنان — بالفتح — السحاب الواحدة عنانة .

عرش — بلقيس — ملكة سبأ ونقله الى مقر ملك نبي الله سليمان عليه السلام قبل أن يقوم من مقامه . ولقد حكى القرآن الكريم هذه القصة . فقال سبحانه : (قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)(١) .

● وكذلك لهم القدرة على الصناعات العجيبة ، فقد صنعوا لنبي الله سليمان — عليه السلام — كل ما طلبه من أعمال مذهلة قال تعالى : (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات)(٢) ، وقال سبحانه : (والشياطين كل بناء وغواص)(٣) .

---

(١) النمل من ٣٨ — ٤٠
(٢) سبأ ١٣
(٣) ص ٣٧

الأجل

من الأمور التى يجب على المسلم الإيمان بها — الأجل — وهو العمر الذى قدر الله لكل مخلوق أن يحياه .

وهذا الأجل : لا يعلم مقداره إلا الله — تبارك وتعالى — ولا يستطيع أى مخلوق فى الوجود أن يعلم على وجه التحديد متى ينتهى هذا الأجل ، لأن علم ذلك من الأمور التى استأثر الله — سبحانه وتعالى — بها قال تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير)(١) .

وهذه الأمور الخمسة هى مفاتيح الغيب التى قال الله عنها فى محكم كتابه (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو)(٢)) فيجب الإيمان بأن الإنسان ، وسائر الحيوانات ، والجن والملائكة وغيرها لا يموت أحد منهم حتى يتم أجله الذى قدره الله له وصدق النبى — ﷺ — الذى يقول : (إن روح القدس نفث فى روعى(٣) . إنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها) ،

ولقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فيقول سبحانه : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٤) ،

---

(١) لقمان ٣٤
(٢) النمل ٦١
(٣) أى فى قلبى .
(٤) النمل ٦١

هل العمل الصالح يزيد حقيقة فى الأجل ؟

لقد وردت أحاديث نبوية يفيد ظاهرها أن الإنسان إذا اتقى الله ، — جل شأنه — يزيد فى أجله ، ويدفع عنه ميتة السوء .

من تلك الأحاديث ما رواه البخارى ومسلم عن أنس — رضى الله عنه — أن رسول الله — ﷺ — قال : (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه) .

وما رواه الحاكم والبزار بإسناد جيد ورواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائده عن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — عن النبى - ﷺ - قال : (من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه) .

فهذه الأحاديث وأمثالها — كما قال الكثير من العلماء — لاتفيد أن العمر يزيد حقيقة ، ولا تدل على سعة الرزق بزيادة كمه ، بل تفيد أن الله — تبارك وتعالى — يبارك فى الرزق ، والعمر ، فيجعل قليل الرزق بالبركة كثير النفع ويجعل الأجل المحدود يزداد النفع به حتى يخيل أن هذا الأجل قد زاد زيادة حقيقة .

وذكر الإمام ابن كثير (— ما خلاصته — عند تفسير قوله تعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(١) .

عن أبى الدرداء — رضى الله عنه — قال : ذكرنا — أى هذه الآية —

---

(١) النحل ٦١

عند رسول الله — ﷺ فقال : (إن الله لا يؤخر شيئاً إذا جاء أجله ، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره ، فذلك زيادة العمر)(١) .

ودعاء الولد الصالح لأبيه المتوفى ينفعه فى قبره إذ الولد من كسب أبيه يؤكد هذا قول النبى — ﷺ — فى الحديث الذى رواه مسلم : (وإذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) .

وفى المقابل تكون المعاصى منقصة للأعمار ، وممضيقة للأرزاق بمعنى أن الذى يعصى الله ولا يلتزم بالمنهج الإلهى الذى جاء به خاتم النبين محمد — ﷺ — فإن الله - تبارك وتعالى - يمحق البركة من أجله ، ومن رزقه، فلو أنه عمر طويلا ، فستنزع البركة منه ، ولن يعمل فى عمره الطويل هذا من الخير إلا قليلا فكأنه عاش فترة قصيرة .

وكذلك لو أنه ربح كثيراً ، وكان رزقه موفوراً فإن البركة ستنزع من رزقه فلن يفى هذا الرزق الوفير بما يفتح عليه الشيطان من مطالب الحياة ، أو الإنفاق بإسراف ، أو فى الحرام .

وقد تفتح عليه أبواب الأمراض والأوبئة فلا ينعم بوافر ماله ولا يكون فى عيشة راضية مصداق ذلك من قول الله - تبارك وتعالى - : (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)(٢) .

---

(١) جـ ٢ صـ ٥٧٣ ط بيروت .
(٢) المائدة ٦٥ — ٦٦

وقوله ـ سبحانه ـ : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون)[١] .

---

(١) الأعراف من ٩٦ : ١٠٠

هل المقتول استوفى أجله ؟.

ولسائل أن يسأل فيقول : لو أن إنسانا اعتدى على إنسان فقتله ، أو لو أن إنسانا حدث له حادث فمات فيه ، هل يكون المقتول أو من مات بالحادث قد استوفى أجله ، أو أنه مات وبقى فى أجله شىء لم يستوفه ؟ .

ولقد تنوعت الإجابة على هذا السؤال ،وما ماثله ، واختلفت الآراء فى هذا الموضوع .

فمن قائل : إن المقتول مات ناقص العمر ولو لم يقتل لعاش أكثر من هذا .

ولذلك : فإن الشرع يعاقب القاتل على جريمته لأنه عجل الموت إلى المقتول ، ولو لم يعجل القاتل الموت للمقتول لما كان فى معاقبته مصلحة بل كانت معاقبته عبثا ، والعبث فى حق الشرع محال لأن الشرع جاءنا من الله الذى لا يطرأ عليه العبث ، ولا يتصور العبث فى حقه تعالى .

ومن قائل : إن المقتول قد استوفى أجله الذى حدده الله له فى علمه الأزلى ، والقاتل لم ينقص من أجل المقتول لحظة واحدة ، كل مافى الأمر أن الله قدر على كل المخلوقات أن تموت ، فمن ميت على فراشه بوباء أو مرض أو غير ذلك .

ومن ميت فى معركة أو بسببها ، ومن ميت فى حادث أيا كان نوعه ، فكل ذلك مقدر فى علم الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، والذى يتعمد قتل إنسان بغير حق هو بذلك قد أجرم فى حق هذا الإنسان ، وفى حق المجتمع الإنسانى الذى هو جزء منه حيث اجترأ على حدود الله ومحارمه ، واستهان بتلك النفس المحترمة فأقدم على إزهاق الروح منها ،

لهذا الاجتراء من القاتل على محارم الله وحدوده، ولاستهانته بأخيه الإنسان، ولإشاعته الفوضى فى المجتمع ، لهذه الأمور فإن الشرع يعاقبه على جريمته ليلتزم الكل بشريعة الله وليقف الجميع عند حدود الخالق - جل عــلاه - وليحافظ الإنسان على أخيه الإنسان فيكون كل واحد آمنا على نفسه ، مطمئنا على حياته، وأيضا يكون محافظاً على بقية الأنفس الإنسانية محافظته على نفسه .

فالقاتل على هذا الرأى لم يعاقب لأنه عجل موت المقتول وأنقص من أجله شيئاً . لا . بل لأنه لم يلتزم بالشرع، ولم يقف عند حدوده ، ولم يرع حق الله فى الجماعة الإنسانية ، فكان لابد من معاقبته .

ونحن نرتضى هذا الرأى ، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة ممن يعتد به من علماء الشريعة ، وذلك لأمور منها :

أولا : أن القرآن الكريم أوضح فى بعض آياته أن المقتول ميت بأجله الذى قدره الله له فى علمه أزلا ، ففى سورة آل عمران يذكر ربنا لرسوله ﷺ كيف يجيب الذين انتقدوا الخروج لقتال المشركين فى غزوة أحد وقد تألموا على القتلى من المسلمين فى تلك الغزوة .

فقال سبحانه : (يقولون لو كان لنــا من الأمر شىء ما قتلنا هـا هنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور)(١) .

فالآية تؤكد أن من قتل من المسلمين فى تلك الغزوة إنمـا كان لأمر قدره الله عز وجل فلا محيد ولا مناص عنه حتى لو كان المقتولون فى بيوتهم لوصل القتل إليهم فيها .

---

(١) آل عمران ١٥٤

ويقول سبحانه : (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير)(١) .

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : (ينهى ربنا عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار فى اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا فى الأسفار والحروب ، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم .

فقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم) أى عن إخوانهم (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا للتجارة ونحوها (أو كانوا غزى) أى كانوا فى الغزو (لو كانوا عندنا) أى فى البلد (ما ماتوا وما قتلوا) أى ما ماتوا فى السفر وما قتلوا فى الغزو (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) أى خلق هذا الإعتقاد فى نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم (والله يحيى ويميت) أى بيده الخلق وإليه يرجع الأمر ، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ، ولا يزداد فى عمر أحد ولا ينقص منه شىء إلا بقضائه وقدره (والله بما تعملون بصير) أى علمه وبصره نافذ فى جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شىء)(٢) .

ثانياً : إرادات الله — تعالى — لا تناقض فيما بينها ولا تعارض ، فإذا تعلقت إرادته — تعالى — بشىء — معين استحال أن تتعلق فى الوقت نفسه بنقيض ذلك الشىء أو بضده بحيث يؤدى إلى جمع النقيضين أو الضدين فى شىء واحد .

---

(١) آل عمران ١٥٦

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤١٩

وبناء على ذلك فلا يمكن أن يريد الله حياة إنسان فى اللحظة التى يريد فيها موته كما لا يمكن أن يريد الله جعل الإنسان المكلف حر الإرادة أمام عمل من الأعمال فى اللحظة التى يريد أن يجعله فيها مسلوب الإرادة أمام ذلك العمل نفسه .

ثالثاً : إذا اختار الإنسان أمراً مما جعل الله له فيه سلطة الاختيار فإن اختياره لذلك الأمر لا يعاند إرادة الله فى شىء لأن الله ـ تعالى ـ هو الذى أراد أن يمنحه هذه السلطة، ولا يقتضى ذلك أن يكون الله ـ تبارك وتعالى ـ راضياً عن كل ما يختاره هذا الإنسان ، فلو أن إنساناً قتل باختياره إنساناً متعمداً قتله بغير حق ، فهو بذلك قد نفذ ما أراده الله فى علمه أزلا ، وإن كان القتل بهذه الصورة لا يرضى به الله ـ تبارك وتعالى ـ .

وليس لمعترض أن يقول : لقد وقع مراد المخلوق معانداً لإرادة الخالق ، ليس لأحد أن يقول ذلك لأن الله قد ترك لهذا المخلوق حرية التصرف فى الحدود التى لا تعارض القضاء والقدر العام وذلك ليمتحنه ثم يحاسبه على ما اكتسب ، فالقاتل الذى قتل باختياره وإرادته كان الله أزلا مريداً فى قضائه وقدره العام أنه سيقتل فى ذلك الحين ، وأن المقتول ستزهق روحه بسبب هذا القتل ويظهر لنا ذلك فى تجاربنا الإنسانية ، فلو أن إنساناً مثلا ـ بدون تشبيه ـ منح ابنه حرية التصرف فى عمل ـ ما ـ فإن هذا الابن قد يفعل ما يسر أباه ويرضيه ، وقد يفعل ما يسيئه ويغضبه ، مع أن الوالد قادر على أن يمنع ابنه عن العمل الذى يسيئه ويغضبه ويسلبه حرية التصرف فيه ، ولكنه قد يتركه يعمل هذا العمل ليمتحنه ويختبره ، وقد يوبخه أبوه ويؤنبه ويؤدبه ، وقد ينذره ويحذره ، والوالد فى كل ذلك مشاهد لسوء تصرف ابنه ، وقد يرى الوالد أنه من الحكمة عدم معارضة ولده فيما يعمل من سوء لتتأكد عملية الامتحان ، وقد يرى من الحكمة أيضاً أن يملى له ليصلح من تصرفه ويقوم من سلوكه .

وعلى ذلك يمكن أن نفهم قوله تعالى : (وما تشاؤون إلا ان يشاء الله)(١) ، أى لا تستطيعون أن يكون لكم مشيئة إلا إذا منحكم الله السلطة التى بها يكون لكم مشيئة واختيار ضمن الحدود التى قررها الله — عز شأنه — فى قضائه وقدره العام .

ولا يعترض على هذا الرأى بقوله تعالى : (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير)(٢) .

لأن الكثير من العلماء والمفسرين الذين نرتضى رأيهم قالوا فى هذه الآية : (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) لا يراد منه أن الواحد من بنى الإنسان يكتب له الأجل الطويل ثم ينقص من هذا الأجل فيصير قصيراً بعد أن كان طويلا ، بل المراد من هذه الآية أشياء غير ذلك . منها :

أن بعض بنى آدم كتب لهم طول الأجل فى الدنيا ، وآخرون كتب لهم قصر الأجل فيها ، فكل ذلك فى علم الله الأزلى وفى كتاب لا يضل فيه ربى ولا ينسى .

يقول الإمام ابن كثير : (وروى من طريق العوفى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — فى قوله تعالى : (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) . يقول : ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهى إلى الكتاب الذى قدرت لا يزاد عليه وليس أحد قدرت له أنه

---

(١) الإنسان ٣٠

(٢) فاطر ١١

قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهى إلى الكتاب الذى كتبت له فذلك قوله تعالى: (ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول: كل ذلك فى كتاب عنده)(١).

ومن معانى هذه الآية أيضاً: أن الله كتب الأجل فى كتاب ثم يكتب فى كتاب آخر ما مضى من أجله فكلما مضى يوم يسجل فى الكتاب الآخر أنه نقص من عمره يوم، وهكذا حتى ينتهى الأجل كله.

يقول الإمام الشوكانى فى تفسيره ما خلاصته: قال سعيد بن جبير: (وما يعمر من معمر) إلا كتب عمره، كم سنة هو، كم شهراً هو، كم يوماً هو كم ساعة هو.

ثم يكتب فى كتاب آخر: نقص من عمره ساعة، نقص من عمره يوم، نقص من عمره شهر، نقص من عمره سنة حتى يستوفى أجله، فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذى يعمره)(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٥٠

(٢) فتح القدير ج٤ ص٣٤٢

بعد انتهـــاء الأجل

وإذا انتهى أجل الإنسان فإن ملك الموت يقبض روحه بأمر الله، وله أعوان من الملائكة الكرام عند الإحتضار[١]، يرى المحتضر الملائكة الذين يقبضون روحه ويعرف مصيره إن كان إلى الجنة أو إلى النار .

يؤكد ذلك قوله تعـالى فى حق من كان مصيره الجنـــة : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون)[٢] .

ويقول سبحانه فى شأن من كان مصيره النار : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)[٣] .

---

(١) أى عند خروج الروح .
(٢) النحل ٣٢
(٣) الأنعام ٩٣

من الذى يقبض الأرواح ؟

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد منها ما يبين أن الذى يقبض الأرواح ملك الموت ، قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون)(١) .

ومنها ما يبين أن الذى يقبضها ملائكة غير ملك الموت ويطلق عليهم القرآن الكريم رسلا ، قال تعالى : (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)(٢) .

ومنها ما يوضح أن الذى يقبض الأرواح هو الله ذاته .

قال تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى)(٣) .

ولا تعارض بين هذه الآيات ، فالله — تبارك وتعالى — هو الذى يأمر بقبض الأرواح ، فلما كان الله هو الآمر ، ذكرت الآية الشريفة أنه هو الذى يتوفى الأنفس .

والمأمور بقبض الأرواح هو ملك الموت،فباعتبار أنه هو المنفذ لأمر الله أطلق عليه أنه هو الذى يتوفى الأنفس لأنه يتولى قبضها واستخراجها.

وبعد قبضها توصلها الملائكة إلى مستقرها ، فإن كانت صالحة أخذتها ملائكة الرحمة إلى الجنة ، وإن كانت غير ذلك أخذتها ملائكة العذاب إلى

---

(١) السجدة ١١ (٢) الأنعام ٦١
(٣) الزمر ٤٢

النار ، فباعتبار أن ملائكة الجنة ، وخزنة النار هم الذين يوصلون الأرواح إلى مستقرها أطلق عليهم أنهم يتوفون الأنفس .

يقول ابن أبي العز الحنفي : (ولا تعارض بين هذه الآيات ، لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره ، وحكمه وأمره فصحت إضافة التوفى إلى كل بحسبه)(١) .

ما يقال للروح عند خروجها :

إن الإنسان إذا كان فى حياته ملازما طاعة ربه متبعا للمنهج الذى جاء به نبينا محمد ﷺ وعمل لما بعد الموت ، فإنه إذا حان ميعاد خروج روحه فإن ملائكة الرحمة تحتفى بهذه الروح الطاهرة وتبشرها بما لها من مكانة عالية عند الله تبارك وتعالى فى مستقر رحمته أما إذا كان الإنسان فى دنياه متبعا لهواه ، ومبتعدا عن طاعة مولاه ، ومتمردا على المنهج الإلهى فإن ملائكة العذاب تأنف من نفسه الخبيثة ، وتبشرها بعذاب أليم ، وحميم وغساق

ويدل على ذلك : الحديث(٢) الذى رواه ابن ماجه عن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى — ﷺ قال : إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح . قالوا : أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، أخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان . قال : فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤١ .

(٢) ورجال هذا الحديث رجال الصحيح وله ألفاظ عند أحمد ومسلم وابن حيان .

فيقال : فلان فيقولون : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان قال : فلايزال يقال لها حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله . عز وجل .

وإذا كان الرجل السوء . قالوا : أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . أخرجى ذميمة ، وأبشرى بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ . فيقال : فلان . فيقال : لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . إرجعى ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر . . لخ الحديث)

سؤال القبر ونعيمه وعذابه

من السمعيات التي أخبرنا بها الصادق الأمين محمد — ﷺ — عن الوحي الإلهي : (سؤال القبر ونعيمه وعذابه) .

لذا فقد وجب على كل مكلف الإيمان بأن أول ما يكون للميت بعد إدخاله القبر . سؤال الملكين(١) وذلك بأن يرد الله عليه روحه وسمعه وبصره ، ثم يسألانه عن ربه ودينه ، ونبيه ، فإما أن ينعم — إن أجاب صوابا — وإما أن يعذب — إن جانبه الصواب لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة .

فمن القرآن قوله تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)(٢) .

ومن الأحاديث : ما أخرجه أبو داود والبزار والدارقطني والبيهقي والحاكم وصححه عن عثمان — رضي الله عنه — قال : (كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) .

وما رواه الامام أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان وغيرهم عن

---

(١) وهذان الملكان يقال لأحدهما : المنكر . وللآخر : النكير يؤكد ذلك ما جاء في صحيح أبي حاتم عن أبي هريرة قال : قال النبي — ﷺ : (إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير) أخرجه الترمذي .

(٢) غافر ٤٥ — ٤٦

البراء بن عازب رضى الله عنه قال : (كنا فى جنازة(١) فى بقيع الغرقد(٢)، فأتانا النبى ﷺ فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له(٣)، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر — ثلاث مرات — ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وإنقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط(٤) من حنوط الجنة ، فجلسوا منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : يأيتها النفس الطيبة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى (٥) السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها(٦) فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها يعنى على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هى هذه الروح الطيبة ؟ .

فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له ، فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله(٧) . فيقول

---

(١) المتوفى كان رجلا من الأنصار .

(٢) وهو مكان قريب من مسجد رسول الله ﷺ — بالمدينة المنورة ومدفون به كثير من الصحابة والمسلمين :

(٣) أى يشق للميت لحده

(٤) حنوط كرسول : طيب يخلط للميت خاصة . وكل ما يطيب به الميت من مسك وغيره (٥) أى من فم السقاء

(٦) أى ملائكة الرحمة لم يتركوها فى يد ملك الموت

(٧) أى التى فيها عرش الله

الله — عز وجل — اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ ، فيقول: ربى الله . فيقولان له : ما دينك ؟ . فيقول : دينى الإسلام .فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ ، فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : ما علمك !. فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ، أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها — بفتح الراء — وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح، فيقول : أبشر بالذى يسرك . هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟. فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح، فيقول : يارب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى(١) .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان فى إنقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح(٢) فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى سخط من الله وغضب .

قال : فتتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود(٣) من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها(٤) فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك

---

(١) أى لأبشرهم بالحال الذى أنا فيه

(٢) مسوح كحمول هى الأثواب الخشنة

(٣) السفود بوزن التنور الحديدة التى يشوى بها اللحم

(٤) أى ملائكة العذاب لم يتركوها فى يد ملك الموت

المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثـــة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائـكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولان : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)[1] .

فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطـــير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)[2] فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ . فيقول : هاه . هاه لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول: هاه . هاه . لا أدرى . فينادى مناد من السماء : أن كذب : فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : رب لا تقم الساعة) .

وروى الشيخان والنسائى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر فقال : (إن عذاب القبر حق وإنهم يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم) .

وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن ابن مسعود ـ رضى الله

---

(١) الأعراف ٤٠
(٢) الحج ٣١

عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم) .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ مر بقبرين فقال : (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) .

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلا لذلك ، كما تواترت الأخبار في سؤال الملكين فيه ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به .

(ما كيفية عذاب القبر ونعيمه ؟) :

إنه ليستفاد من الآيات والأحاديث التي وردت في عذاب القبر ونعيمه أن لأهل القبور حياة بها يدركون أثر النعيم والعذاب حتى ولو تفتتت أجسادهم ، ولا نتكلم في كيفية ذلك النعيم والعذاب لأنه أمر غيبي لا يستطيع العقل الوقوف على كيفيته ، وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ولا يرى من بجواره ولا يحس شيئا منها

وإنما ستر الله عنا علم هذه الأشياء رحمة بنا يؤكد ذلك ما أخرجه أحمد والنسائي عن أنس بن مالك أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) أي لولا أني أخاف أن تتركوا دفن موتاكم لما يحصل لكم من الفزع والأهوال ، لدعوت الله أن يسمعكم شيئا من عذاب القبر(١) .

---

(١) ويجوز أن تكون ـ لا ـ في قوله : (أن لا تدافنوا) زائدة ، =

(فإذا تأملنا هذا المعنى حق التأمل ظهر لنا أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه ، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ويجب أن يعلم أن النار التى فى القبر والنعيم الموجود به ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها .

وإن كان الله - تعالى - يحمى عليه التراب والحجارة التى فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسو بها . بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه ، وهذا فى حفرة من النار ، وهذا فى روضة من رياض الجنة .

لا يصل من المعذب إلى جاره شيء من حر ناره ، ولا يصل من المنعم إلى جاره شيء من نعيمه ، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ، ولو أطلع الله العباد كلهم على عذاب القبر ونعيمه لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب .

ولما كانت حكمة التكليف منفية فى حق البهائم سمعت ما يكون من الميت من صرخات ، وأدركت ما يكون فيه من نعيم وعذاب)(٢) .

= والمعنى على ذلك: لولا أنى أخاف موتكم ودفنكم لمجرد سماعكم شيئا من عذاب القبر لدعوت الله أن يسمعكم شيئا منه .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى بتصرف من ص٤٥٢ ، ص ٤٥٣

هل سؤال القبر ونعيمه وعذابه للجسد أو للروح أو لهما معاً ؟) :

يتردد فى أذهان الكثير من الناس سؤال هو :

هل السؤال والنعيم والعـــذاب فى القبر للروح ، أو للجسد ، أو لهما معا ؟

وخلاصة ما قيل فى الإجابة عن هذا السؤال ما يلى :

أولا : أن سؤال القبر ونعيمه وعذابه يكون للبدن وحده بدون الروح ، وهذا رأى ظاهر الفساد ولا يعتد به وذلك لأمور : منها : أن البدن بدون الروح لا حياة به ولا إحساس له فلن تكون هناك فائدة من سؤال القبر ونعيمه وعذابه للبدن وحده . فضلا عن أن قولهم هذا مخالف لما جاءت به السنة النبوية الشريفة .

ثانيا : قال بعض العلماء منهم الإمام ابن حزم : إن السؤال والنعيم والعذاب فى القبر للروح وحدها . وهذا الرأى مردود أيضا بالأحاديث النبوية الصحيحة التى ذكرنا بعضها والتى تفيد أن السؤال والنعيم والعذاب فى القبر للإنسان الميت ولا يطلق عليه إنسان إلا إذا روعى فيه جانب الروح والجسد معاً .

ثالثا : الرأى الذى نرتضيه ونؤمن به وهو : أن السؤال والنعيم والعذاب فى القبر يكون للجسد والروح معاً ، وهو ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وتكون الروح متصلة بالبدن بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى ـ ولا نستطيع أن نعرف حقيقتها لأنها مما غاب عنا ولم نكلف بالبحث عنه .

(هل غير المقبور يسأل وينعم أو يعذب ؟) :

ومن الأسئلة التي ترد في هذا الموضوع . هذا السؤال :

لو مات إنسان ولم يقبر بأن صلب ، أو أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رماداً وفرقت الريح ذراته ، أو غرق في البحر .

فهل يسأل ، وينعم إن كان صالحا ، ويعذب إن كان عاصيا أو يمنع عنه ذلك ما دام لم يوضع في القبر ؟ .

ونجيب على هــذا السؤال فنقول : لما كان أكثر الموتى من الناس يقبرون أضيف السؤال والنعيم والعذاب إلى القبر ومن لم يقبر لسبب من الأسباب فقبره حيث وجد ، وتكون له — كالمقبور — حياة من نوع خاص تخالف الحياة السابقة في الدنيا ، كما تخالف الحياة اللاحقة في الآخرة ، والحياة التي في القبر — وما في حكمه — تسمى حياة البرزخ . والبرزخ في اللغة هو : الحاجز بين الشيئين . قال تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)[1] .

فالبرزخ هو الفترة التي بين الموت والبعث سواء أكان الميت في قبر — وذلك لأكثر الموتى من الناس — أم كان في جوف حوت في البحر ، أم في ذرات رماد بعد إحراقه ، أم في بطون السباع ، أم كان مصلوبا . فإنه يسأل وينعم إن كان طائعا ويعذب إن كان عاصيا بكيفية يعلمها الله — تبارك وتعالى — ولا نستطيع نحن البشر أن نعرف حقيقة هذه الكيفية وليس لأحد أن يذهب بعقله فيها إلى أبعد مما أراده منه شرع الله . لأن

---

(١) المؤمنون ١٠٠

العقول لا تدرك إلا ما كان واقعا تحت الإدراك والحس البشرى . أما ما غاب عنا ، مثل سؤال القبر ونعيمه وعذابه ، فهو من الغيبيات التى أتت إلينا من الله ، رب العالمين ، عن طريق الصادق الأمين نبينا محمـــد ﷺ فوجب علينا أن نؤمن بها بدون البحث عن كيفيتها ولا حقيقتها .

هل يسأل الأنبياء والشهداء والصبيان ؟

لما كان سؤال القبر امتحانا للمسؤل للوقوف على قدر إيمانه ولتظهر درجة طاعته ، أو معصيته، حتى ينعم إن كان طائعا ويعذب إن كان عاصيا . فإن الأنبياء لا ينطبق عليهم هذا الحال . لأن درجة إيمانهم هى أعلى الدرجات وطاعتهم دائمة ، فـلا يعصون الله أبدا لأنهم معصومون من قبل الله — تبارك وتعالى — لذلك . فهم لا يسألون فى قبورهم .

أما الشهداء فإنهم لما بذلوا أرواحهم ابتغاء مرضاة الله، ولما هانت عليهم أبدانهم فقدموها لرفعة دين الله ، ولـما افتتنوا بآلات القتل ، وأدوات الحروب فثبتوا فى صفوفهم . كانت هذه الأشياء دليلا على إيمانهم . لذلك فإنهم لن يسألوا فى قبورهم . ولقد أخرج النسائى حديث راشد بن سعد عن صحابى أن رجلا قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون(١) فى قبورهم إلا الشهيد ؟ . فقال : (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) .

ولما كان سؤال القبر للمكلفين فقط . فإن الصبيان لا يسألون لأنهم غير مكلفين .

من هنا نقول : إن الأنبياء والشهداء والصبيان لا يسألون فى قبورهم .

---

(١) أى يختبرون بسؤال القبر .

النفخ فى الصور

الصور فى اللغة البوق . وفى اصطلاح الشرع : مخلوق أعده الله ليكون به النفخ لإهلاك من فى السموات والأرض عند قيام الساعة إلا من شاء الله استثناءهم من الموت بهذه النفخة . ثم يكون النفخ مرة أخرى لإحياء كل المخلوقات .

ولقد أخبر القرآن الكريم بأنه ستحدث نفختان فى الصور .

النفخة الأول : تكون قبل قيام الساعة وهى نفخة الإماتة .

النفخة الثانية : وهى نفخة البعث إلى الحياة بعد الموت(١) .

والذى ينفخ فى الصور هو — إسرافيل — عليه السلام — وصدق ربنا حيث يقول : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)(٢) .

وجاء تسمية الصور فى القرآن الكريم — بالناقور — اشتقاقا من النقر بمعنى التصويت ، لأن الناقور يحدث صوتا هائلا . قال تعالى :(فإذا نقر فى الناقور)(٣) .

قال ابن عباس :(الناقور) هو الصور .

وقال مجاهد : وهو كهيئة القرن يؤكد هذا ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله — ﷺ — :(كيف أنعم وصاحب القرن

---

(١) أنظر تفسير الفخر الرازى الجلد ١٤ ص ١٩

(٢) الزمر ٦٨

(٣) المدثر ٨

قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ !! فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فما تأمرنا يارسول الله؟ قال: قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله توكلنا)(١) .

من السمعيات : اليوم الآخر :

ولقد ورد الأمر بالإيمان به فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)(٢) .

ويقول النبى ﷺ فى الحديث الطويل الذى أخرجه مسلم والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان قال له :(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)(٣) .

وعقيدة الإيمان بالله تعالى لا تنفك عن الإيمان باليوم الآخر لأن من مقتضى الإيمان به سبحانه التصديق بكل ما جاءنا عنه سبحانه وتعالى .

وقد أخبرنا جل شأنه باليوم الآخر ، ووعده ، ووعيده ، وما أعد فيه من نعيم للمؤمنين المتقين ، وما أعتد فيه من عذاب للمجرمين .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤١

(٢) النساء ١٣٦

(٣) الحديث بكماله فى صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٠ فى باب تعريف الإسلام والإيمان وأمارات الساعة

ولا بد وأن نقرر حقيقة هامة فى هذا الموضوع وهى : أن جميع الرسالات الإلهية من لدن آدم — عليه السلام — إلى خاتم الأنبياء محمد — ﷺ — قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها لوحدانية الله — سبحانه وتعالى .

وفى القرآن الكريم مئات من الآيات التى تؤكد حقيقة الحياة الآخرة فى اليوم الآخر ، وبها تتأكد حقيقة وجود اليوم الآخر ذاته ، وهذه الآيات العديدة أتت على أشكال متنوعة .

فتارة تأتى بالأمر بالإيمان بذلك اليوم ، وأخرى بالنهى عن الكفر به ، وثالثة بالتصريح الذى لا شبهة فيه فى مقالتى الترغيب والترهيب لأهل الكفر ، ورابعة بالاشارة والتلميح فى مقام حث المؤمنين على العمل الصالح ، وخامسة بالتمثيل والتشبيه لتقريب حقيقة الحياة الآخرة إلى الأذهان ، وسادسة بإقامة البراهين والحجج المنطقية الدامغة فى مناقشة منكرى البعث ، وغير ذلك مما هو مبسوط فى كتاب الله تبارك وتعالى .

فعقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من حقائق ثابتة . عقيدة معلومة من الدين بالضرورة . والإيمان بها واجب على كل مسلم مكلف .

وإنكارها كفر مخرج من الديانة الإسلامية ، والعياذ بالله — والإيمان باليوم الآخر ، كما أنه عقيدة دينية . فهو أيضا ضرورة اجتماعية . لأن الإيمان به ينظم علاقة الإنسان فى جميع مناحى الحياة ، وفى كل المجالات ، والاتجاهات .

فينظم علاقته مع نفسه ، ومع خالقه ، ومع إخوته فى الملة ، ومع بنى وطنه ، ومع الأسرة الإنسانية كلها ، علاقة تجعله دائما يراقب الله فى سره وعلانيته ، فى الليل وفى النهار ، أمام الناس وهو منفرد ، تجعله يحافظ على

غرائزه فينظمها ويسيرها فى مسارها الذى خلقت له فلا يميتها ولا يطلق لها العنان . كما يحافظ على الآخرين فيحب لهم ما يحبه لنفسه ، ولا يظلم مثقال الذرة .

إن إيمانه بهذا اليوم يجعل قلبه مستقرا على أن هذه الحياة الدنيا بعدها حياة آخرة للحساب والجزاء على كل الأعمال والأقوال .

وصدق الله حيث يقول : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(١) .

ولقد نعى ربنا على قوم فهموا أنهم خلقوا للهو والعبث وأنهم إن ماتوا فلن تكون لهم قيامة ولا حساب . فقال عز جاهه ـ (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)(٢) .

كما حكى القرآن الفكر السطحى ، والكفر الصريح لمن أنكروا البعث واليوم الآخر . فقال سبحانه : (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)(٣) .

وهذا هو منطق الجهلة والسطحيين قديما وحديثا . فى القديم قالوا : ما هى إلا أرحام تدفع وقبور تبلع وما يهلكنا إلا الدهر وحديثا قال قائلهم(٤) :

جئت لا أدرى من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت
وأنى سائر فيه . رضيت أم أبيت

---

(١) الزلزلة : الآيتان ٧ ، ٨ (٢) الكهف ١١٥ ، ١١٦
(٣) الجاثية ٢٤ (٤) إيليا أبو ماضى

ولو أن هؤلاء جميعاً فكروا وتدبروا . لعلموا أن أبسط منطق للعدل يقضى بأن توجد قيامة ، وحساب حتى يقتص ربنا من الظالم للمظلوم .

ولو فكروا وقدروا لأيقنوا أن الله خلقهم لحكمة بالغة . وهدف سام هو عبادته وحده . بمفهوم العبادة الشامل . عبادة يكون فيها النفع للإنسانية على ضوء الشرع ابتغاء وجه الله . بعيداً عن دناءة النوايا ، وخبث الأنفس والأثرة المدمرة . فقال تعالى : (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[1] .

كما أن الإيمان باليوم الآخر يوجب الإيمان بما فى الدار الآخرة من قبر ، وحشر ونعيم ، وعذاب ، وجنة ونار ، وعرض ، وحساب ، وميزان ، وصراط . إلى غير ذلك مما أنبأنا به القرآن الكريم ، وأتت به السنة النبوية الشريفة . مما يجعل الطائع ذا نفس متطلعة إلى نعيم الله فيزداد من عمل الخير ، ويجعل العاصى خائفا من عقاب الله فيقلع عن عمل الشر .

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات

أسماء اليوم الآخر كما جاء بها القرآن الكريم(١)

ولقد جاء فى القرآن الكريم تسمية هذا اليوم بعدة أسماء أخذا من الظرف الزمانى المرافق للحياة الأبدية . ومما يجرى فيه من أمور متعددة ، وأحداث متنوعة . ومن أسمائه :

• يوم البعث لأن فيه البعث بالأجساد بعد الموت إلى الحياة الباقية ، قال تعالى : (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون)(٢) .

• كما يسمى يوم الخروج . لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الآخرة . قال تعالى : (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)(٣) .

• ويسمى يوم القيامة . لأن فيه قيام الخلائق إلى حساب الله قال تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة)(٤) .

• وهو يوم الدين . لأن فيه إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم . قال تعالى : (مالك يوم الدين)(٥) .

• ويوم الفصل . لأن فيه الفصل بين المخلوقات بالعدل الإلهى المطلق . قال سبحانه : (فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت

---

(١) للاستزادة . أنظر كتاب : العقيدة الإسلامية وأسسها للشيخ عبد الرحمن الميدانى وكتاب : مشاهد القيامة فى القرآن للشيخ سيد قطب .

(٢) الروم ٥٦ (٣) ق ٤٢

(٤) الآية الأولى من سورة القيامة

(٥) الفاتحة ٤

وإذا الرسل أقتت لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك مايوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين)(١) .

● ويوم الحشر . لأن فيه حشر الخلائق فى موقف الحساب قال تعالى: (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)(٢) . وقال سبحانه : (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون)(٣) .

● كما يسمى يوم الجمع . لأن فيه جمع الخلائق أمام الله رب العالمين . قال تعالى : (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)(٤) .

● وهو يوم الحساب . لأن فيه يحاسب الله الناس على أعمالهم فى الدنيا. قال تعالى : (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب)(٥) .

● ويوم الوعيد . لأن فيه تحقيق وعيد الله لمن خرج عن منهجه فى الدنيا . قال تعالى : (ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد)(٦) .

● ويوم الحسرة ، لأن فيه حسرة الخارجين على المنهج الإلهى من الكافرين والعصاة على ما فرطوا فى جنب الله : قال تعالى : (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون)(٧) .

● كما يسمى أيضاً يوم الخلود . لأن الحياة من هذا اليوم حياة خالدة

---

(١) المرسلات من ٧ — ١٥
(٢) الكهف ٤٧
(٣) الأنعام ٢٢
(٤) التغابن ٩
(٥) ق ٢٠
(٦) ص ١٦
(٧) مريم ٣٩

أبدية . فكل من أطاع الله وسار على منهجه فى الدنيا يكون مخلدا فى نعيم الله . وكل من كلف بشرع الله فى الدنيا ولم يسر على هديه فيها ومات على ذلك يكون فى عذاب مقيم . قال تعالى مبشرا المؤمنين المتقين : (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هـذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود)(١) .

وكما جاءت أسماء لهذا اليوم لوحظ فيها الظرف الزمانى المرافق للحياة الخالدة . فقد جاءت فى كتاب الله أسماء أخرى لهـذا اليوم لوحظ فيها التسمية بالدار أخذا من الظرف المكانى المستلزم للحياة الخالدة . من هذه الأسماء :

● الدار الآخرة : لأن الحياة الباقية تستلزم أمكنة لكل من الطائعين ، والكافرين ، والعصاة من المكلفين . قال تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)(٢) .

● دار القرار . لأن فيها الاستقرار الدائم بلا فناء قال تعالى : على لسان مؤمن آل فرعون : (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار)(٣)

● دار الخلد . لأن الإقامة فيها إقامة أبدية خالدة . قال تعالى : (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون)(٤)

ولقد وردت أسماء أخرى لهذا اليوم لوحظ فيها معنى تحقق وقوع ذلك اليوم أو ما يجرى فيه من أحداث جسيمة . من ذلك . تسمية القيامة بما يلى :

---

(١) ق ٣١ — ٣٤ . (٢) القصص ٨٣
(٣) غافر ٣٨ ، ٣٩ (٤) فصلت ٢٨

● الآزفة : أي القريبة. وسميت القيامة بذلك إشعاراً بقرب وقوعها. قال تعالى : (أزفت الآزفة)[1].

● الواقعة : لأن وقوعها محقق لا يقبل الشك أصلا . قال تعالى : (إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة)[2].

● القارعة : أخذا مما يجرى فيها من أهوال تقرع القلوب . إذ القرع هو الضرب الذى يحصل فيه صوت شديد قال تعالى : (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة)[3].

● الغاشية : أخذا مما يجرى فيها من غشيان عام الإنس والجن معاً . قال تعالى : (هل أتاك حديث الغاشية)[4].

● الصاخة: سميت بذلك لأنها تصخ الآذان أى تصمها لشدة أهوالها . قال تعالى : (فإذا جاءت الصاخة)[5].

● الطامة . وسميت القيامة بالطامة لما فيها من أهوال ودواه تغلب وتفوق كل ما سواها . قال تعالى : (فإذا جاءت الطامة الكبرى)[6].

● الحاقة : سميت بذلك لأن وقوعها متحقق لا محالة قال تعالى : (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)[7].

---

(١) النجم ٥٧
(٢) الواقعة ١ ، ٢
(٣) القارعة ١ ، ٢ ، ٣
(٤) الغاشية ١
(٥) عبس ٣٣
(٦) النازعات ٣٤
(٧) الحاقة ١ ، ٢ ، ٣

بداية اليوم الآخر ونهايته

واليوم الآخر أوله من الموت . وعلى هـذا الرأى فكل إنسان تبدأ قيامته من يوم موته . والدليل على ذلك ما رواه هانىء — مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته . فقيل له : أتذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (القبر أول منزل من منازل الآخرة . فإن نجا منه فما بعده أيسر منه . وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)(١) .

وقيل : إن أول اليوم الآخر يكون من النشر (وهو الخروج من القبور) وذلك لأن كل الخلائق تبعث ، وتخرج الأرض أثقالها ، ويصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فتكون القيامة عامة .

وأرى : أنه لا خلاف بين الرأى الذى يقول : إن أول القيامة الموت ، وبين الرأى الآخر الذى يقول : إن أولها النشر . لأن الرأى الأول نظر إلى قيامة كل فرد على حدة أخذا من الحديث النبوى المتقدم . ولا ينفى أن القيامة العامة لكل الخلائق تبدأ من النشر .

والرأى الثانى . نظر إلى القيامة العامة ، ولا أظنه ينفى القيامة الخاصة لكل فرد على حدة إذا صح عنده حديث عثمان السابق .

أما آخر هذا اليوم — على القولين معا — فإنه يكون بدخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار . وبهذا اليوم تبدأ الحياة الخالدة الأبدية .

---

(١) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب

متى يأتى يوم القيامة :

إن الله سبحانه هو وحده الذى يعلم بالتحديد وقت قيام الساعة، وقد أخفى عز شأنه العلم بقيامها عن كل خلقه لحكمة يعلمها هو سبحانه فلا سبيل إلى معرفة هذا اليوم، كى يظل الطائعون مهيئين أنفسهم لهذا اليوم، وليأخذ ربنا الغافلين عنه أخذ عزيز مقتدر. قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١). وتدبر قول الله تعالى: (أيان مرساها) أى متى وقت رسوها . وكأن الحياة الدنيا سفينة فى بحر الزمن فإذا رست على الشاطىء فقد بلغت مداها، وجلى ربنا القيامة لعباده، وسيكون ذلك مفاجأة لهم .

وقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن بريدة قال : سمعت النبى ﷺ يقول : (خمس لا يعلمهن الا الله عز وجل : «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير»)(٢) .

ومن هذا المنطلق فكل من يدعى معرفة وقت القيامة فهو كاذب مفتر على الله ورسوله :

---

(١) الأعراف ١٨٧ (٢) لقمان ٣٤

مقدمات اليوم الآخر

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد استأثر بعلم الوقت الذى ستقوم فيه الساعة إلا أنه قد أوحى إلى خاتم النبيين محمد - ﷺ - أمارات تدل على قرب وقوعها ليعلم بها أمة الإسلام كى تحصن نفسها ضد الغفلة عن ذلك اليوم الذى يجعل الولدان شيباً، والذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس فيسه وكأنهم سكارى من شدة العذاب الذى يحيق بمن كان لاهياً فى دنياه فنسى الله ، فأذاقه الله الخزى والهوان فى أخراه . وهـــذه الأمارات هى ما تعرف بأشراط الساعة أو علاماتها . وهى نوعان :

● علامات صغرى . ● وعلامات كبرى .

العلامات الصغرى :

والعلامات الصغرى لقرب وقوع يوم القيامة كثيرة ومتنوعة نقتصر هنا على عرض أهمها مما ثبت بالأحاديث الصحيحة والأدلة القاطعة . من هذه العلامات :

● يرفع من الأرض العلم الموصل إلى معرفة الله وتطبيق تعاليمه ويظهر الجهل بين الناس . ويكون ذلك بموت العلماء الراسخين فى مجال اختصاصهم ، العاملين بعلمهم ، ولا يأتى مثلهم من بعدهم .

● انتشار الزنا بين بنى البشر ، واعتداء الإنسان على عرض أخيه الإنسان فتموت الغيرة فيهم ، وتمحى النخوة من رجالهم ، ويكثر التسيب فى نسائهم .

● شرب الخمر وانتشاره بين الناس باستحلاله ، أو عدم المبالاة بتحريمه . والخمر - كما هو معلوم - أم الخبائث ورأس الكبائر .

• كثرة عدد النساء ، وقلة وجود الرجال ، إلى درجة أن وجود رجل واحد يقابله وجود خمسين امرأة . والدليل على هذه الأشياء ماجاء فى حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد)(١).

• ومنها : سوء معاملة الأبناء لآبائهم حتى إن الولد ـ ذكرا كان أو أنثى ـ ليعامل أبويه كما يعامل السيد أمته ، أو عبده .

• ومنها : كثرة اتخاذ العبيد والجوارى ، حتى إن الجارية تلد الولد من سيدها فيكون بمنزلة أبيه فى السيادة . فيعامل هذا الولد أمه على أنه سيدها فيأمر فيها وينهى .

• ومنها : أن يمتلك المعدمون العالة الحفاة العراة فيكون لهم من متاع الدنيا مايتطاولون به على غيرهم ويفخرون بكثرته على من دونهم يدل على ذلك ماجاء فى الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد والخمسة إلا البخارى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ لما سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الساعة ؟ . قال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها(٢) ، وأن ترى الحفاة العراة

---

(١) أخرجه السبعة إلا أبا داود . وقال الترمذى حديث حسن صحيح انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٢ ص ٥٣٢

(٢) ربتها أى سيدتها ، وهذا من فساد أحوال الناس فى آخر الزمان ، فيكون قوله : (أن تلد الأمة ربتها) . إما حقيقة ، وذلك بكثرة اتخاذ الناس الجوارى حتى إن الجارية لتلد من سيدها فيعاملها مولودها معاملة السيد لجاريته . وإما كناية ، وذلك بأن يعامل الولد والديه معاملة سيئة لاتليق بهما .

العالة(١) رعاء الشاء(٢) يتطاولون فى البنيان)(٣) .

• ومنها : كثرة الزلازل الأرضية فينشأ عنها دمار فى المنشآت وقتل للأحياء ، وخراب لبعض جوانب المعمورة .

• ومنها : عدم البركة فى الوقت ، وإضاعته فى اللهو واللعب فيمر بدون الإفادة المرجوة منه . فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة بمقدار ما تحرق ورقة الجريدة اليابسة وهو وقت قليل . وهذا معنى حديث رواه أنس أن النبي - ﷺ - قال : (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كالضرمة(٤) من النار)(٥) .

• ويضاف إلى ما ذكر من علامات الساعة الصغرى : ظهور الفتن

---

(١) العالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٢) رعاء الشاء : بكسر الراء وبالمد فى آخرها همزة . ويقال : رعاة بضم الراء وبالتاء فى آخرها بدل الهمزة ، هم رعاة الغنم وغيرها، والشاء بالمد بعده همز جمع شاة . وهذا كله كناية عن انقلاب الأوضاع وضياع المبادىء وإسناد الأمور إلى غير أهلها .

(٣) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٠ فى باب تعريف الإسلام والإيمان وأمارات الساعة .

(٤) الضرمة . بفتح الضاد المعجمة والميم هى : احتراق السعفة التى هى ورقة الجريدة اليابسة . والضرام : بالكسر : اشتعال النار فى الحلفاء ونحوها .

(٥) أخرجه أحمد والترمذى وقال هذا حديث غريب .

الكثيرة الجسيمة التى تفتن الناس عن دينهم وهى كقطع الليل المظلم فى شدة عتمتها وغلظ حجمها .

● ومنها : كثرة الهرج(١) وهو قتل الأنفس البريئـــة بلا ذنب ولا جريرة ، وقد حرم الله قتلها إلا بالحق . وتوعد سبحانه من يقدم على قتل نفس واحدة - بدون حق - أنه يعاقب بعقاب لا يأخذ مثله إلا من قتل الناس جميعاً . يدل على ذلك قوله تعالى : (من قتل نفساً بغير نفس أوفساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)(٢) .

● ومنها : كثرة الأموال فى كمها مع إهدار قيمتها بمحق البركة منها وعدم حاجة الناس إليها ، يؤكد كل ذلك ما أخرجه الشيخان وابن ماجه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال : (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج - أى القتل - حتى يكون فيكم المال فيفيض)(٣) .

ويريد الرجل - آن ذاك - أن يخرج زكاة ماله فلا يجد أحداً يأخذها منه كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) .

---

(١) الهرج - بفتح الهاء وسكون الراء هو فى اللغة: الفتنة والاختلاط. وفسره النبى - ﷺ - فى أشراط الساعة - بالقتل - .

(٢) المائدة من الآية ٣٢

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٢ ص ٢٢٥ باب ما قيل فى الزلازل والآيات.

● ومنها : إضاعة الأمانة ، وذلك بأن تسند الأمور إلى غير أهلها ، ويبعد عنها الكفء لها، وذلك لمآرب دنيوية ، ومصالح شخصية، ونزعات عرقية ، فتضيع الحقوق ، وتعم الفوضى . أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا قال لرسول الله - ﷺ - متى الساعة ؟ . فقال : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال : وكيف إضاعتها ؟ . قال: (إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظر الساعة)(١) .

● ومنها : تطهير الأرض من اليهود وعبثهم على أيدي المسلمين حتى إن الحجر أو الشجر - إذا اختبأ وراءهما يهودي - سيقول كل منهما بلسان الحال أو المقال : تعال يامسلم اقتل هذا اليهودي . مصداق ذلك ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر(٢) يامسلم ، ياعبدالله : هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد(٣) فإنه من شجر اليهود) ونكتفي بهذه العلامات ففيها الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٢٦٣ باب رفع الأمانة .

(٢) إن الله قادر على أن يسمع المسلمين نطق الشجر أو الحجر . فكل الأشياء تسبح بحمده ولكن لانفقه تسبيحها، والتسبيح نطق بلسان المقال ، فإذا أعطى الله المسلمين القدرة على فهم مايقوله الحجر أو الشجر فلا لبس وفضل الله لاحرج عليه فهو سبحانه على كل شيء قدير . ويحتمل أن يكون النطق من الحجر أو الشجر كناية عن تمكن المسلمين من اليهود فلا يتمكن أحد منهم من الفرار .

(٣) الغرقد - بفتح الغين المعجمة وسكون الراء - نوع من الشجر له شوك عظيم معروف ببلاد القدس .

العلامات الكبرى :

أما العلامات الكبرى فإنها تكون بعد ظهور العلامات الصغرى وتكون قبل يوم القيامة .

وتتضمن هذه الأمارات مجموعة من أنباء الغيب تمكينا للإيمان فى قلوب المؤمنين ، وتنبيها للظالين حتى يؤمنوا من قبل أن تأتيهم هذه العلامات فلا يقبل منهم إيمان ولا توبة - كما أن تلك الأمارات حجة على الجاحدين المعاندين ، وبخاصة إذا مرت على الناس عصور بعدوا فيها عن عصر الرسالة الخاتمة .

وقد جاء التصريح بجملة من أنباء الغيب هذه فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهى ما تسمى بعلامات الساعة الكبرى . من هذه العلامات :

أولا . طلوع الشمس من المغرب ، وهى أول الآيات الكبرى المؤذنة بتغير أحوال العالم حتى ينتهى بقيام الساعة ،

يدل على ذلك ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال : (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا) . ورواه أيضا أبو داود ومسلم وزادا : قال عبد الله - يعنى ابن عمرو - وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها)[1] .

وحين تطلع الشمس من المغرب فإن الناس يصيبهم الهول والفزع ، ويشرع الكفرة فيؤمنون ، ويهرع العصاة فيتوبون ولكن لا ينفع فى ذلك الوقت إيمان نفس مكلفة لم تكن آمنت من قبل ، ولا توبة مسلم بالغ

(١) سنن أبى داود ج ٤ ص ١١٤ .

كان عاصياً أخرج أحمد والشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) .

وطلوع الشمس من المغرب ، وغروبها فى المشرق يكون فى يوم واحد ، وقيل : فى ثلاثة أيام ثم تطلع من المشرق وتغرب فى المغرب ـ كعادتها ـ ومن وقت طلوعها من المغرب يغلق باب التوبة إلى يوم القيامة ـ على القول الراجح ـ لقول الله تعالى : (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً)(١) .

والمراد ببعض آيات الرب طلوع الشمس من المغرب كما فى الحديث السابق . وكما فى الحديث الذى أخرجه أحمد والطبرانى عن عبد الله بن عمر وغيره أن النبى ـ ﷺ ـ قال : (لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل)(٢) .

ثانياً : خروج الدابة :

فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى وتبديلهم الدين الحق تخرج دابة عظيمة من صدع فى جبل الصفا أو من غيره ، والظاهر أن خروجها يكون فى زمن طلوع الشمس من مغربها(٣) ـ كما جاء

---

(١) الأنعام ١٥٨

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١١ ص ٢٨٢ باب طلوع الشمس من مغربها .

(٣) نفس المرجع والصفحة والباب .

فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم - وتخرج على الناس ضحى فتكلمهم وتخبرهم بما هم عليه من إيمان أو كفر ، ومن صلاح أو فسق .

وقيل : تقول ماقاله الله - تعالى - (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى الكفار والموجودون وقت خروجها كانوا لا يوقنون ولا يؤمنون بالقرآن والبعث والحساب والجزاء والعقاب .

قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)(١) .

وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعدم فائدة ذلك فلا ينفع إيمان من كافر مكلف ، ولا تقبل توبة من مسلم عاص وقد أوردنا أدلة تؤكد ذلك عند الكلام على العلامة السابقة وهى طلوع الشمس من المغرب .

ثالثاً خروج المسيح الدجال :

وسمى المسيح - بالحاء المهملة - على الصحيح لأنه يمسح الأرض ويقطعها فى أربعين يوماً ، ولأنه ممسوح العين اليمنى فهى عوراء لا يرى بها، والدجال: الكذاب ، يأتى إلى الناس ويدعى الألوهية ومعه بعض خوارق العادات فيفتن به الكافرون والعصاة من المسلمين، أما المؤمنون الصادقون فيثبتهم الله برسوخ الإيمان فى قلوبهم فلا يفتنون به .

(١) النمل ٨٢

أوصافه

ولقد وصف النبي محمد ﷺ المسيح الدجال وصفاً كافياً في عدة أحاديث لنكون منه على حذر، ولننجو من شره، ولنسلم من فتنته. فمن أوصافه أنه شاب قوي جعد الشعر، وهو أيضاً أعور العين اليمنى، فهي ممسوحة لا يرى بها كما أنه مكتوب بين عينيه كافر. يقرأه كل مؤمن يراه، سواء كان يعرف القراءة قبل ذلك أو لا يعرفها.

ومن أوصافه أنه يأتي معه مثل الجنة والنار، فالذي يراه الناس معه بأنه نار فهو ماء عذب، والذي يراه الناس معه بأنه الجنة فنار تحرق.

ومن أوصافه أنه يحرم عليه أن يدخل المدينة المنورة ولا يقترب حتى من طرقها الموصلة إليها.

ولنستعرض سوياً بعضاً من أحاديث الرسول ﷺ التي اشتملت على شيء من هذه الأوصاف.

فعن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا النبي ﷺ حديثاً طويلا عن الدجال وكان فيما حدثنا قال: (يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب(١) المدينة فينتهي إلى بعض السباخ(٢) التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا. فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت

---

(١) نقاب المدينة: أي طرقها.

(٢) والسباخ جمع سبخة وهي أرض بجوار المدينة، تعلوها الملوحة لا تنبت إلا قليلا.

فيك قط أشد بصيرة منى الآن[1] فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه)
أخرجه أحمد والشيخان واللفظ لمسلم[2] .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر — رضى الله عنهما — أن النبى ﷺ قال : (ما بعث الله من نبى إلا أنذر أمته من الدجال ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وأنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية)[3] .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ماحدثه نبى قومه ؟ : إنه أعور ، وأنه يجىء معه مثل الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هى النار ، وإنى أنذرتكم به كما أنذر نوح قومه)[4]

ومن حديث رواه مسلم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ (. . . وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة[5] غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب[6]

---

(١) أى أنا الآن أشد يقيناً بأنك كاذب
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى حـ١٨ ص ٧١
(٣) هذا الحديث ذكر أن عينه اليمنى عوراء ، وفى رواية أخرى عن مسلم أنه أعور العين اليسرى ولا تناقض بين الروايتين فكلتاهما صحيحة إذ العور فى اللغة : العيب . وكلتا عينيه معيبة فإحداهما طافئة بالهمز أى لاضوء فيها فهى معيبة ، والأخرى طافية بالياء المثناة التحتية — أى بارزة ناتئة كأنها عنبة فهى أيضاً معيبة
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ صـ ٦٢
(٥) ظفرة بفتح الظاء المعجمة والفاء هى : جلدة تغشى البصر
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٨ صـ ٦١

مدة إقامة الدجال فى الأرض وتقديرها :

إن الدجال سيمكث فى الأرض أربعين يوما يمسح فيها الأرض ويطوف بها(١) . وأول هذه الأيام يكون مقدار سنة من سنوات الدنيا التى تمر بنا ، واليوم الثانى يكون مقدار شهر من شهور الدنيا أيضاً ، واليوم الثالث يكون مقدار أسبوع من أسابيع الدنيا كذلك . وبقية الأربعين يوما تكون أياما عادية كل يوم منها مثل يوم من أيامنا هذه .

يدل على ذلك ماجاء من حديث النواس بن سمعان قال: (قلنا يارسول الله ومالبثه فى الأرض ؟ قال : أربعون يوما . يوم كسنة ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يارسول الله : فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . أقدروا له قدره [illegible](٢)

ويعلق الإمام النووى على قول الرسول ﷺ : (يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم) .

فيقول رضى الله عنه : (قال العلماء : هذا الحديث على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور فى الحديث يدل عليه قوله ﷺ : (وسائر أيامه كأيامكم) .

---

(١) و (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة) كما جاء ذلك عند الطبرانى من حديث أنس — رضى الله عنه — أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ١٠٤

(٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه والترمذى وقال عنه حديث غريب حسن صحيح وانظر الحديث بتمامه فى صحيح مسلم بشرح النووى [illegible] ١٨ ص ٦٣

وأما قولهم : يارسول الله : فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : (لا . أقدروا له قدره) .

قال القاضى وغيره : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع . قالوا : — أى القاضى ومن وافقه — ولولا هذا الحديث ، ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة فى غيره من الأيام .

ومعنى : (أقدروا له قدره) أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر - من ذلك اليوم - قدر مايكون بينه وبين الظهر فى كل يوم من الأيام العادية التى فى الدنيا فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده . أى بعد ذلك الوقت . قدر مايكون بينها - أى بين فريضة الظهر - وبين العصر من الأيام العادية - فصلوا العصر وإذا مضى بعد هـــذا قدر مايكون بينها . أى بين فريضة العصر وبين المغرب . من اليوم العادى . فصلوا المغرب ، وكذا العشاء ، والصبح ، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضى ذلك اليوم - الذى كسنة - وقد وقع فيه صلوات سنة - كاملة - فرائض كلها مؤداة فى وقتها .

وأما اليوم الثانى الذى كشهر ، - و - اليوم - الثالث الذى كجمعة فقياس اليوم الأول(١) - أى يقاس كل منهما على اليوم الأول الذى كسنة والله أعلم .

---

(١) أنظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٨ ص ٦٥

كيف نحصن أنفسنا من الدجال :

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يبين للصحابة أوصاف الدجال وأحواله لم يفته أن يوضح لهم كيف يحصنوا أنفسهم من خطره إن أدركوه . إنه أمرهم بأن يقرأوا القرآن وبأن يكونوا مع الله على كل حال .

والخطاب من الرسول - صلى الله عليه وسلم - عام لكل المؤمنين حتى إذا ما أدركه أحد منهم أسرع في تنفيذ ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى يسلم من كيد ذلك الدجال ويأمن من شره .

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه مسلم عن النواس بن سمعان : (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)(١)

القول الفصل في الدجال :

من الأحاديث النبوية التي ذكرناها ، ومن غيرها من الأحاديث التي ذكرت الدجال يتبين أن وجود الدجال حق وأنه سيأتي ، وهو شخص بعينه ابتلى الله به عباده ، وأن الله أقدره على أشياء من مقدوراته - تعالى - من إحياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه ، ومن وجود جنة ونار معه ، ومن اتباع كنوز الأرض له ، ومن أمره السماء

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٦٥ ، وفي رواية ثانية (أواخرها) أي يقرأ أواخر سورة الكهف . والأفضل أن يقرأ أوائل الكهف ، وأواخرها جمعا بين الروايتين .

أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت ، كل ذلك يقع بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله — تعالى — بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل أمره ويقتله عيسى — عليه السلام — ويثبت الله الذين آمنوا . وهذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين، والفقهاء ، والنظار(١) وهو المذهب الحق . وهو مانقول به ونرجحه .

(١) انظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ١٨ ص ٥٨

شبهة ودحضها

قال بعض المعتزلة ومن وافقهم : إن وجود الدجال صحيح ولكن الذى يدعيه من خوارق العادات ما هى إلا مخارف(١) وخيالات لا حقائق لها ، وزعموا أنه لو كان الذى يدعيه حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم .

ويدحض القاضى عياض هذه الشبهة فيقول : (وهذا غلط من جميعهم لأنه — أى الدجال — لم يدع النبوة فيكون ما معه من خوارق العادات — كالتصديق له(٢) وإنما — هو — يدعى الإلهية(٣) وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه ، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه .

ولهذه الدلائل وتلك الخوارق فإنه لا يغتر به إلا رعاع الناس لسد الحاجة ، ورغبة فى سد الرمق ، أو تقية وخوفا من أذاه ، لأن فتنته عظيمة تدهش العقول ، وتحير الألباب .

ولهذا حذرت الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — من فتنته ، ونبهوا على نقصه ، ودلائل إبطاله .

وأما أهل التوفيق ، فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما ذكرناه

---

(١) المخارف هى : الأحاديث الخيالية التى لا يصدقها العقل السليم .
(٢) ويقول بعض العلماء : إن خوارق العادات فى آخر الزمان لا تكون من المعجزات لأن الوقت لا يسمح آنذاك بوجود نبى .
(٣) الإلهية والألوهية ، كلا اللفظين صحيح .

من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله ، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما أزددت فيك إلا بصيرة)(١) أى ما أزددت فيك إلا يقينا بكذبك .

رابعا : نزول المسيح عيسى — عليه السلام — من السماء ، وقتله الدجال :

من علامات الساعة الكبرى نزول عيسى — عليه السلام — من السماء فقد دلت السنة النبوية الشريفة ، وأجمع الثقات من الأمة الإسلامية على أن عيسى — عليه السلام — ينزل قرب قيام الساعة ، ويقتل الدجال ، ويحكم بشريعة نبينا محمد — ﷺ — ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال : (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)

ثم قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)(٢) أخرجه أحمد والخمسة إلا النسائى .

وعن جابر — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال : (لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن

---

(١) بتصرف من شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٨ ص ٥٨

(٢) النساء ١٠٩

مريم فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة(١) الله تعالى لهذه الأمة) أخرجه أحمد ومسلم .

ولقائل أن يقول : كيف يرفع عيسى — عليه السلام — إلى السماء ويمكث فيها كل هذه المـــدة مع أنه بشر ، والسماء ليست صالحة لإقامة البشر ؟ .

ونقول : إن الله القادر على خلق عيسى من غير أب والقادر على أن جعله ينطق فى المهد ، والقادر على أن جعله يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ، والقادر على أن ألقى شبهه على اليهودى الذى دل عليه ، والقادر على رفعه إلى السماء . إن الله القادر على فعل ذلك كله معه قادر أيضا على أن يجعله يمكث فى السماء ، ويهيء له هواء يتنفس [illegible] ، وحياة يعيشها ، وصدق الله حيث يقول : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)(٢) .

ولقد ثبت بالدليل القطعى أن الله أسرى بعبده ونبيه محمد — ﷺ — من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بفلسطين بأرض الشام . كما ثبت أيضا أنه عرج به — جسداً وروحاً — إلى ما بعد السماوات العلى ، وعاد — ﷺ — إلى مكة مرة أخرى فى نفس الليلة التى أسرى به فيها ، فكيف كان يتنفس رسول الله — ﷺ — مدة إقامته فى السماء . إنه — بكل اليقين كان يتنفس بقدرة الله ، وبما هيأ له مولاه من أسباب الحياة ، وما يجرى على جزء ليلة يجرى على العديد من الليالى ، وعلى الكثير من الشهور والأعوام ، وما جرى على نبينا محمد ﷺ يجرى على عيسى عليه

---

(١) تكرمة : أى إكرام من الله لهذه الأمة أنه لا يكون عليهم أمراء من خارجهم .

(٢) يس ٨٢

السلام إنها قدرة الله التى لا يحدها شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا فى أى جزء من ملكوت الله رب العالمين .

وعيسى عندما ينزل سيقتل الدجال ، ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ويكون حكما مقسطا ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية .

وقد يقول قائل . أليست شريعة نبينا محمد ﷺ هى خاتمة الشرائع ، وإذا كان الله مريداً إصلاح الأمور فى الدنيا قبل القيامة ، فلماذا لم يأت لهذا الإصلاح بخاتم النبيين محمد ﷺ ؟

ونقول : إن عيسى ـ عليه السلام ـ عندما ينزل سيحكم بشريعة نبينا محمد ـ ﷺ ـ فهو لن ينزل بشريعته ولا بشريعة جديدة ، فتكون شريعة نبينا محمد ـ ﷺ ـ كما هى خاتمة الشرائع كما ثبت بالأدلة القطعية والتى ذكرنا بعضها عند الحديث عن رسالة نبينا محمد ـ ﷺ ـ وأنها عامة وخاتمة لكل الشرائع . أما لماذا لم يأت نبينا محمد ـ ﷺ ـ لإصلاح ما فسد فى آخر الزمان فنقول : إن الله رقب أن يرفع عيسى من قبل أن يتمكن منه أعداؤه اليهود ، وألقى شبهه على يهوذا اليهودى الذى دلهم عليه ، فقتلوا يهوذا وهم يظنونه عيسى وصلبوه على خشبة كانوا قد أعدوها لصلب عيسى ـ عليه السلام ـ ونجى الله عيسى برفعه إلى السماء ثم تسلطوا على أتباع عيسى بالحبس والقتل والصلب ، ولما علم ملك الروم بما فعله اليهود أرسل إلى المصلوب فوضع عن جذعه ، وجيء بالجذع الذى صلب عليه فعظمه ملك الروم وجعلوا منه صلبانا فمن ثم عظمت النصارى الصلبان ، ومن ذلك الوقت دخل دين النصرانية فى الروم ، فإذا كانت الأخبار الصادقة من السنة النبوية الشريفة قد دلت على أن عيسى هو الذى سيأتى لإصلاح ما فسد فى آخر الدنيا ، فذلك لأمور أرادها الله تعالى . منها :

أولا : أن عيسى بشر ولن يخلد ، بل سيموت ، وموته سيكون قبل يوم

القيامة فلا بد وأن ينزل ليقضى مهمته ويمكث فى الأرض ماشاء الله أن يمكث ثم يموت ، ويصلى عليه المسلمون .

ثانيا : اليهود يدعون أنهم قتلوا عيسى وهذه دعوى قد تأصلت على مر السنين والأجيال ، وعندما ينزل عيسى معلنا أنه لم يقتل ، ولم يصلب سيكون الإقناع بكلامه أتم ، والحجة به لاتصل إليها حجة .

ثالثا : النصارى يعظمون الصليب ويقدسونه ظنا منهم أنه الشيء الوحيد الذى استطاع أن يحمل جسد الرب ، أو ابن الرب - كما يفترون - فإذا نزل عيسى وكسر الصليب كان هذا إعلانا منه على كذب دعواهم بأنه صلب بعد قتله ، ودليلا واضحا على بطلان دينهم الذى ابتدعوه بعده .

رابعا : إن الله قال فى محكم كتابه : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (١)

وعيسى لم يمت حتى الآن كما هو ثابت بالأدلة القاطعة عند أهل السنة والجماعة ، إذ لابد من نزوله حتى يؤمن به كل من يكون موجودا من أهل الكتاب ، يؤمنون بأنه لم يقتل ولم يصلب ، ويؤمنون بأنه رفع إلى السماء ، ويؤمنون بنزوله منها ، يؤمنون بأن الدين الإسلامى الذى جاء به محمد ﷺ هو الدين الحق . وأن عيسى نزل لإظهاره .

خامسا : إن الشريعة الإسلامية قررت عدم قبول الجزية من أهل الكتاب بنزول عيسى عليه السلام ، ورسولنا محمد ﷺ بين فى الأحاديث الصحيحة أن عيسى لن يقبل الجزية منهم وأنه لن يقبل منهم غير الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ والإسلام إنما جعل الجزية على أهل الكتاب نظير

(١) النساء ١٠٩ .

أمانهم والدفاع عنهم ، فلذا ينزل عيسى على شريعة الإسلام لابد وأن يؤمن به كل من هو موجود وقت ذلك من أهل الكتاب - كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، ويترتب على إيمانهم بعيسى الذى يحكم بشريعة الإسلام إيمانهم بنبينا محمد ﷺ . وبذلك فإنه لن يوجد واحد من أهل الكتاب فلا حاجة حينئذ إلى أخذ الجزية .

ولو أن النبى محمداً ﷺ هو الذى جاء آخر الزمان لإصلاح الفساد لما تحقق الإيمان بعيسى من كل أهل الكتاب الموجودين فى آخر الزمان .

ولو أن الرسول محمداً ﷺ هو الذى جاء آخر الزمان ، ووضع الجزية عنهم ، لاحتجوا بأنهم ما زالوا أهل كتاب ، فلماذا جعلها عليهم من أول أن جاءته الرسالة حتى قرب انتهاء الدنيا ، ثم جاء آخر الزمان ليضعها عنهم !! .

قال القاضى عياض : (نزول عيسى عليه السلام ، وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة فى ذلك وليس فى العقل ولا فى الشرع ما يبطله فوجب إثباته)(١) .

أدلة المنكرين والرد عليهم :

ولقد أنكر نزول عيسى عليه السلام بعض المعتزلة (٢) ، والجهمية(٣)

---

(١) شرح النوى على صحيح مسلم جـ ١٨ صـ ٧٥ ذكر الدجال .

(٢) المعتزلة : أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى رضى الله عنه وكان فى أيام عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، وفرقهم عشرون فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها - انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ من صـ ٦٥ إلى صـ ٦٧

(٣) الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان من الجبرية الخالصة وكان =

ومن وافقهم ، وزعموا أن الأحاديث التى دلت على نزوله مردودة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وإجماع المسلمين . فمن القرآن قوله تعالى :

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) (١) .

ومن السنة ما أخرجه الطبرانى فى الكبير بسندين رواة أحدهما ثقات عن أبى أمامة الباهلى أن النبى ﷺ قال فى خطبة حجة الوداع : (أيها الناس إنه لانبى بعدى ، ولا أمة بعدكم)(٢) .

كما أجمع المسلمون أنه لانبى بعد نبيا محمد ﷺ وأن شريعته باقية إلى يوم القيامة لاتنسخ .

ويرد عليهم بما قلناه سابقا ، وبما أورده الإمام النووى عن القاضى عياض بما خلاصته : (وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أن ينزل بشرع ينسخ شرعنا وليس فى هذه الآيات والأحاديث التى أثبتناها هنا ولا فى غيرها شيء يدل على عدم نزول عيسى . بل دلت الأحاديث الكثيرة الصحيحة أن عيسى عليه السلام سينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ، ويحيى من أمور شرعنا ماهجره الناس)(٣) .

= ظهور الجهم فى أيام ظهور واصل بن عطاء وقتل فى آخر زمان بنى أمية وله أقوال تخالف ما عليه المسلمون المعتدلون — انظر كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٦ ، ص ١١٩ ، ص ٢٠٠

(١) الأحزاب ٤٠

(٢) مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٦٣ باب لانبى بعده ﷺ .

(٣) بتصرف من شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٨ ص ٧٥ والتى بعدها فى ذكر الدجال .

خامسا : يأجوج ومأجوج .

ذكرت كتب التفسير (١) أن يأجوج ومأجوج — بالهمز وعدمه — اسمان أعجميان لقبيلتين من ولد يافث بن نوح أبي الترك فهما من بني آدم وعلى أشكالهم وصفتهم .

ولقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة فمن القرآن قوله تعالى : (قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا (٢) على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر (٣) الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) (٤).

ومن السنة ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع النبي — ﷺ — علينا ونحن نتذاكر ، فقال (ماتذاكرون ؟ قالو نذكر الساعة . قال : لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات . فذكر الدخان والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم — ﷺ — ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)(٥) .

---

(١) أنظر ابن كثير ج ٣ ص ١٠٤ والشوكاني ج٣ ص ٣١١ .

(٢) خرجا . أي أجرا عظيما .

(٣) زبر كغرف جمع زبرة كغرفة : أي قطعة .

(٤) الكهف من ٩٤ — ٩٨

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٢٧ كتاب الفتن وأشراط الساعة .

ويأجوج ومأجوج تركوا وراء السد الذى بناه ذو القرنين . وهذا السد حاجز حصين بين فتحتى جبلين عاليين جدا وهما أملسان ، والفتحة التى بينهما مائة فرسخ (١) والارتفاع مائتا ذراع(٢) ، وبناه ذو القرنين بقطع من الحديد كالصخر ، وجعل بين تلك القطع الحطب والفحم ، ووضع المنافخ والنار حول ذلك وقال : انفخوا حتى صار الحديد ناراً ، ثم دعا بالنحاس المذاب فأفرغه على الحديد ، فدخل بين قطعه فصار شيئا واحدا فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يصعدوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له خرقا لصلابته وعظم سمكه ، وهم يعملون على خرقه دائما وحتى الآن لم يقدروا ، فإذا جاء وقت خروجهم قرب القيامة صار السد مستويا بالأرض ، وخرجوا مسرعين قال تعالى : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)(٣) أى حتى إذا فتح السد عنهم خرجوا مسرعين من الآكام والتلال إلى الناس فلا يمرون على ماء إلا شربوه ، ولا بشىء إلا أفسدوه فيستغيث الناس بربهم وفى ذلك الوقت يكون نبى الله عيسى قد نزل الأرض وقتل الدجال فيدعو عليه السلام ربه أن يميتهم فيموتون ؛

فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة ، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم ، فرد الحديث إلى عيسى ابن مريم فقال : قد عهد إلى فيما دون وجبتها(٤)

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ١٨٥٥ متر ، فيكون الفرسخ ٥٥٦٥ متر ، والمائة فرسخ ٥٥٦٥٠٠ متر أى ½٥٥٦ كيلو متر .

(٢) الذراع ⅜٦٤ سنتيمتر فيكون المائتا ذراع ١٢٧٫٧٥ متر

(٣) الأنبياء ٩٦

(٤) وجبتها أى قيامها لأن عيسى سينزل قرب قيامها .

فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله ، فذكر خروج الدجال وقال : فأنزل فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ، ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون (١) إلى الله ،فأدعو الله أن يميتهم فتنتن(٢) الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله ، فأدعـــو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم فى البحر ، ثم تنسف الجبال ، وتمد الأرض مد الأديم)(٣) أخرجه احمد وابن ماجه والحاكم وصححه . والأحاديث فى ذلك كثيرة .

وفيما ذكر من الآيات والأحاديث هنا مقنع لكل من له عقل أو ألق السمع وهو شهيد .

ونكتفى بما ذكرنا من علامات لأننا نراها أهم علامات الساعة الكبرى .

---

(١) يجأرون أى : يرفعون أصواتهم ويستغيثون بربهم .

(٢) التاء الثانية من كلمة — تنتن — مثلثة من باب تعب ، وضرب ، وقرب .

(٣) الأديم : الجلد المدبوغ .

مايكون فى اليوم الآخر

يوجد فى اليوم الآخر أمور كثيرة نذكر منها :

أولا : البعث :

وهو : إحياء الله الموتى ليلقى كل منهم جزاءه الذى قدر له من نعيم أو عذاب . والآيات والأحاديث فى ذلك كثيرة .

فمن القرآن قوله تعالى : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور)(١) وقوله : (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد)(٢)

ومن الأحاديث ماأخرجه مالك وأحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى بسند صحيح عن كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : (إنما نسمة (٣) المؤمن طير يعلق (٤) فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) .

ومع أن البعث ثابت شرعاً بأدلة قطعية فهو ضرورة حيوية للإنسان إذ لايتصور إنسان عاقل يؤمن بالله أن الله سبحانه ينهى أمر الخلائق بمجرد موتهم ، فهو سبحانه خلقهم لغاية ، وأرسل لهم الرسل وأنزل إليهم

---

(١) الحج ٦ ، ٧

(٢) المجادلة ٦

(٣) النسمة : الروح .

(٤) يعلق بضم اللام أى يأكل

الكتب لتحقيق هذه الغاية ، فمن الناس من استجاب ومنهم من أعرض. فهل يتصور عاقل أو يخطر بباله أن يمر الأمر بدون مجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته . وصدق الله حيث يقول : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)[1] .

لذا فقد وجب على كل إنسان عاقل أن يؤمن بالبعث وأنه آت لاريب فيـه .

ثانياً : الحشر :

وهو سوق الناس إلى مكان الحساب الذى يجتمع فيه الخلائق ، وفيه يحاسبون ، وتوزن أعمالهم ، ويعرف كل مخلوق مصيره . ويوجد العديد من الآيات القرآنية ، والكثير من الأحاديث النبوية التى تؤكد وجود الحشر يوم القيامة .

فمن الآيات قوله تعالى : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا)[2] وقوله . سبحانه (واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون)[3]

ومن الأحاديث : ماأخرجه أحمد والشيخان والنسائى والترمذى عن ابن عباس . رضى الله عنهما . قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة

---

(١) المؤمنون ١١٥ ، ١١٦
(٢) الكهف ٤٧
(٣) البقرة ٢٠٣

فقال : (يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا(١) (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم — عليه السلام — إلا أنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب أصحابى فيقال : إنك لاتدرى ماأحدثوه بعدك فأقول كما قال العبد الصالح :(٢) (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم . . .) إلى قوله (العزيز الحكيم)(٣) قال : فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول : سحقا سحقا) أى بعدا لهم عن الحوض وطردا لهم من رحمة الله بسبب بعدهم فى الدنيا عن دين الله وعلمهم بالبدع والمنكرات .

أصناف الناس فى الحشر يوم القيامة :

يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف وذلك بحسب قربهم أو بعدهم عن دين الله فى الدنيا فمن كانت كل حياته فى طاعة الله ولم يقترف إثما فى دنياه . فهذا الصنف يأتى راكبا بفضل الله . ومن سار على المنهج الإلهى فى الدنيا غير أنه كان يقترف بعض الآثام ثم يتوب منها سريعا . فهذا الصنف يأتى ماشيا على قدميه . أما من انحرف عن الطريق السوى فى الدنيا ولم يرع حقوق الله ولا الخلائق . فهذا الصنف يأتى متكبا على الوجوه ويمشون على وجوههم .

يؤكد ذلك ماأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ ـ قال : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة

(١) غرلا : أى غير مختونين .
(٢) هو عيسى ـ عليه السلام ـ .
(٣) المائدة ١١٧ ـ ١١٨

أصناف . صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم . قيل يارسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب(١) وشوك) فيجب على كل مكلف الإيمان بأن الحشر حق .

ثالثاً : الحساب :

وهو توقيف الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده قبل الانصراف من المحشر فيحاسبهم على مابدر منهم من أقوال وأفعال وما كان منهم من اعتقادات . وذلك يكون بعد أخذهم كتبهم . وكيفيته أمر غيبي لم يرد مايدل عليه بكيفية بعينها .

أنواع الناس فى الحساب :

والناس فى شأن الحساب متفاوتون :

فمنهم من استثناه الله ولن يحاسبه كالأنبياء والشهداء ومن أراده الله من الصديقين .

ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يعرض عمـــله عليه فيطلعه الله على سيئاته سرا بحيث لايطلع عليها أحد ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة .

ومنهم منَ يناقش الحساب . بأن يسأل عن كل شيء ويطالب بالعذر والحجة فلا يجد عذرا ولا حجة فيهلك مع الهالكين ، ويأمر الله تعالى مناديا ينادي عليه بسيئات أعماله فيفتضح بين الخلائق .

---

(١) الحدب بفتحتين : المرتفع من الأرض

وعلى العاقل البصير أن يحاسب نفسه فى دنياه قبل أن يحاسب، ويبادر بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان . ويصل نفسه دائما بربه بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن يؤمن بالحساب وأن يستعد له .

ولقد وردت آيات كثيرة وأحاديث وفيرة فى الحساب . فمن الآيات قوله تعالى :(وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)(١) وقوله : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا)(٢) . وقوله : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما)(٣)

ومن الأحاديث ماأخرجه الشيخان والترمذى وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ (من نوقش الحساب عذب . فقلت : أليس يقول الله . (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا) ؟ فقال : إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) .فهذا الحديث يبين حال الناس فى الحساب فمن كان مع الله فى الدنيا وطبق تعاليمه فسوف تعرض عليه أعماله ويكون حسابه يسيرا . وهذا هو العرض الذى قال عنه الرسول - ﷺ - فى الحديث . أما من ابتعد عن المنهج الإلهى وابتدع فى الدين ماليس منه واتبع نفسه هواها فهذا سيحاسب أى سيناقش مناقشة شديدة وهذا ماعبر عنه الحديث بقوله : وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك

---

(١) الأنبياء ٤٧ (٢) الانشقاق ٧ - ١٢

(٣) النساء ٤٠

أول مايسأل عنه العبد يوم القيامة :

إن أول شيء يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن كان فى دنياه قد أدى ماعليه من فرائض الصلاة كاملة غير منقوصة وابتغى بها وجه الله . ثم صلى تطوعا ماشاء الله له أن يصلى . وصلحت كل صلاته فإنه يكون فى وقت الحساب من المفلحين أما إن كان فى الدنيا قد غفل عما فرضه الله عليه من صلاة ولم يؤد شيئا من تلك الفرائض فقد خاب وخسر وإن أداها ناقصة أو أدى بعضها غير كامل فإن كان له صلاة تطوع أخذ من تطوعه لتكملة فرائضه ، فإن تمت فرائضه من تطوعه أفلح ونجح وإلا كان من المعذبين .
يؤكد هذا ماأخرجه النسائى وابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب - تبارك وتعالى - انظروا : هل لعبدى من تطوع ؟ فيكمل بها ماانتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك)

ثم بعد ذلك يسأل عن بقية أعماله وعن نعم الله التى أنعم بها عليه .

أخرج الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى برزة الأسلمى — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — ﷺ (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟)وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

من سيشهد على العاصى يوم القيامة ؟

يشهد على العاصى يوم القيامة أحد عشر شاهداً . ستة من جسمه : اللسان — واليدان — والرجلان — والسمع — والبصر — والجلد .

قال تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)(١) وقال سبحانه : (حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانو يعملون)(٢) .

والملائكة الحفظة الكرام يشهدون عليه . قال تعالى : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)(٣) .

وتشهد عليه الأرض : أخرج أحمد والبغوى وابن حبان والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ (يومئذ تحدث أخبارها) فقال : (أتدرى ما أخبارها ؟ . قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا . قال : فهذه أخبارها) وقال الترمذى : حديث صحيح .

ويشهد عليه النهار والليل . ففى الحديث الذى أخرجه أبو نعيم : (ما من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه : يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شهيد ، فاعمل خيراً أشهد لك به غداً فإنى لو مضيت لن ترانى أبداً ، ويقول الليل مثل ذلك)(٤) .

---

(١) النور ٢٤ (٢) فصلت ٢٠

(٣) ق ٢١

(٤) لم نقف على هذا الحديث بهذا اللفظ . وقيل إنه من كلام الحسن البصرى رضى الله عنه .

كما يشهد عليه المال أيضاً . فقد أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل . أو كما قال رسول الله ﷺ وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة)(١) .

رابعا : صحائف الأعمال :

وهي الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فمنكرها كافر . وقد سبقت الأدلة على ذلك في الكلام عن الحساب . وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لا يحاسبون .

خامساً : الميزان : وهو ذو كفتين ولسان — كالميزان المعهود توزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى دفعة واحدة ، والصنج مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لإظهار تمام العدل . وقيل : إن حقيقته لا يعلمها إلا الله تعالى . قال سبحانه : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)(٢) . وقال عز جاهه : (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية)(٣) . وأخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت . فقال رسول الله ﷺ (ما يبكيك ؟ . قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل

---

(١) هذا عجز حديث ذكره مسلم جـ ٧ ص ١٤٤ بشرح النووي باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا .

(٢) الأنبياء ٤٧ (٣) القارعة ٦ — ١١

تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ . فقال رسول الله ﷺ أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً . عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟. وعند الكتاب حين يقال : (هاؤم اقرءوا كتابيه) حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ؟ . وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز) أى حتى يتخطاه سالما . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) لذلك فإنه يجب على كل مكلف أن يؤمن بالميزان وأن يوقن بأنه حق ، وبأن الله جعله حتى لا تكون من شاردة ولا واردة إلا يجازى عليها عباده .

سادساً : الصراط . وهو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله ، فنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح العاصف ، وناس كالجواد وناس يمرون هرولة ، وناس حبوا ، وناس زحفا ، وناس يتساقطون فى النار ، وعلى جوانبه كلاليب(١) لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق . ويجب على كل مكلف أن يؤمن بأن الصراط حق يدل على ذلك قوله تعالى : (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)(٢) .

ويدل على ذلك أيضا ما أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود : (الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم . سلم)] .

---

(١) الكلاليب مثل الخطاطيف .

(٢) مريم ٧١ — ٧٢

سابعاً : الحوض : يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضا يرده الطائعون من أمته ، وأن حوض النبي محمد ﷺ أكبرها وأعظمها طوله مسيرة شهر ، وهو مربع الشكل وله ميزابان يصبان فيه من نهر الكوثر . ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه[1] أكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ظمأ ألم ولو دخل النار يعذب بغير العطش . ويرده الأخيار وهم المؤمنون بالنبي ﷺ ، الآخذون بسنته ، السائرون على هديه ، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة في العقيدة والمجترئون على حدود الله ، والحوض ثابت بأحاديث مشهورة منها ما أخرجه الشيخان عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال : (حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبداً) .

---

(١) كيزان جمع كوز وهو ما يشرب به الشاربون من الحوض .

هل الشرب من الحوض يكون قبل الصراط أو بعده

قال الإمام الغزالى وكذا القرطبى: إن الشرب من الحوض قبل الصراط وعللا لذلك . بأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فناسب تقديم الحوض، وأيضاً فإنه من تخطى الصراط سالماً لا يتأتى طرده عن الحوض لأن نجاته بذلك تكون قد كملت .

ورجح القاضى عياض أن الحوض يكون بعد الصراط . وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ، ومن تعليله لذلك : أن الصراط يسقط منه من يسقط من المؤمنين العاصين ، ويخدش فيـــه من يخدش ووقوع ذلك للمؤمن بعد شربه من الحوض بعيد فناسب تقديم الصراط حتى إذا خلص من خلص شرب من الحوض .

ونرى أنه يمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وهم المؤمنون أصحاب الإيمان الكامل ، ويكون الصراط قبل الشرب من الحوض لقوم آخرين بسبب ما عليهم من الذنوب فيؤخرون عن الشرب حتى يطهروا من ذنوبهم بالعذاب فى النار . ولما لم يرد دليل صريح على تقديم الحوض عن الصراط أو تأخيره عنه فقد وجب اعتقاد أن للنبى - ﷺ - حوضاً سواء تقدم عن الصراط أو تأخر عنه ، ولا يضرنا عدم معرفة ذلك .

وقيل : إن الحوض هو الكوثر . غير أن المعروف المستفيض عند السلف والخلف : أن الكوثر نهر فى الجنة أعطاه الله النبى - ﷺ - يؤكد ذلك ما أخرجه أحمد والبخارى عن ابن عمر أن النبى - ﷺ - قال: (الكوثر

نهر في الجنة حافتاه(١) الذهب ، والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل) رواه الترمذى أيضاً وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثامنا : الشفاعة : وهى لغة : الوسيلة والطلب ، وعرفا : سؤال الخير للغير ، وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين ، والشهداء والصالحين ، فمن عثمان بن عفان – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – قال : (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء)(٢) يشفع كل لأهل الكبائر على قدر منزلته عند الله تعالى .

والنبي محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع فى فصل القضاء ، وهى الشفاعة العظمى المختصة به ، والتى يغبطه عليها الأولون والآخرون ، وهى المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)(٣) وأخرج أحمد والترمذى والبيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى ﷺ عن المقام المحمود فى الآية . فقال : (هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى) .

وأخرج مسلم وأبو داود عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع) .

---

(١) أى جانباه .
(٢) أخرجه ابن ماجه وقال : حديث حسن .
(٣) الإسراء ٧٩

أنواع الشفاعة(١) :

والشفاعة خمسة أنواع :

الأولى : الشفاعة فى فصل القضاء لإراحة الخلق جميعاً مسلمهم وكافرهم من طول الموقف وأهواله ، وهى مختصة بالنبى محمد ﷺ وتسمى الشفاعة العظمى ، وهى المقام المحمود المذكور فى الآية .

الثانية : الشفاعة فى إدخال فريق الجنة بغير حساب ، وهى مختصة به ﷺ أيضاً .

الثالثة : الشفاعة فى زيادة الدرجات . وهذه ليست خاصة بالنبى ﷺ إجماعاً . فمن العلماء من قال : هى للنبى ﷺ وحده . ومنهم من قال : هى له ﷺ ولغيره ممن ارتضى الله من عباده لمن يشاء .

وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف فيها أحد من علماء التوحيد .

الرابعة : الشفاعة فى مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها .

الخامسة : الشفاعة فى إخراج مرتكب الكبيرة من النار .

وهذان النوعان أنكرهما المعتزلة والخوارج وأنكرهما أيضاً معهم كل من قال: إن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار . وأثبتهما الأشاعرة والماتريدية وكل من هو من أهل السنة والجماعة لوجود الأدلة فى ذلك . وقد مر بعضها

---

(١) أنظر كتاب تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن أيوب ص ٢٣١

هنا . وعلى كل مكلف أن يعتقد أن نبينا محمداً ﷺ شافع مقبول الشفاعة، وأنه أول شافع وأول من يقضى بين أمته ، وأنه أول من يجوز على الصراط بأمته .

تاسعاً : النار : وهى دار العذاب ، والعقاب أعدها الله للكافرين ، والعصاة الذين شاء دخولهم فيها ، وهى موجودة الآن وباقية لا تفنى ، ولقد ثبتت بالكتاب والسنة ، وإجماع الأمة ، وعلى كل مكلف أن يؤمن بوجود النار ، وبأن الله أعدها لكل كافر به وخارج عن الصراط المستقيم .

ولقد وردت آيات وأحاديث كثيرة فى وجود النار وفى طبقاتها وفى أبوابها وفى طعام وشراب أهلها وفى ألوان العذاب بها ، من هذه الآيات قوله تعالى : (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)(١) . وقوله سبحانه : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل(٢) يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)(٣) .

وقوله — جل ذكره — (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم(٤) يصهر(٥) به ما فى بطونهم والجلود

---

(١) البقرة ٢٤

(٢) المهل : ماء عكر كدردى الزيت الأسود يغلى فى البطون كغلى الحميم . وقيل : هو النحاس المذاب .

(٣) الكهف ٢٩

(٤) الماء البالغ الحرارة .

(٥) يصهر : يذاب

ولهم مقامع(١) من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق)(٢) .

ومن الأحاديث التي وردت في عـــذاب النار ما أخرجه الشيخان والترمذى عن النعمان بن بشير أن النبي — ﷺ — قال : (إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان(٣) من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذابا) .

(١) مقامع : مضارب يضربون بها .
(٢) الحج من ١٩ — ٢٢
(٣) شراكان : أى رباطان للنعلين .

دركات[1] النار وأبوابها

النار دركات متعددة ، لكل فئة من أهلها درك يليق بعقابها على ما كان من أفرادها من إنكار لله ، أو كفر به . أو شرك معه أو خروج على منهجه . ولكل درك من هذه الدركات باب يفصله عن الدرك الآخر ، وهى سبعة دركات وسبعة أبواب .

أما الدركات فأسماؤها كالآتى : جهنم — السعير — لظى — سقر — الجحيم — الهاوية — الحطمة . وكل ذلك ورد ذكره فى القرآن الكريم : قال تعالى :(وإن جهنم لموعدهم أجمعين)[2] .

وقال سبحانه : (كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير[3]) .

وقوله جل شأنه : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى)[4] . وقوله تبارك وتعالى : (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر)[5] وقال — جل ذكره : (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم)[6] .

وقال سبحانه : (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدرك ماهيه نار حامية)[7] وقال تعالى : (كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة

---

(١) الدركات جمع درك وهو مكان العذاب ويقابل الدركات الدرجات وهى أماكن النعيم .

(٢) الحجر ٤٣   (٣) الحج ٤

(٤) المعارج ١٥ — ١٨   (٥) المدثر ٢٦ - ٣٠

(٦) الدخان ٤٧   (٧) القارعة ٩ - ١١

نار الله الموقدة)(١) وأما عدد أبوابها فقد قال الله سبحانه وتعالى : (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)(٣) .

وإذا أردنا أن نتعرف على عمق جهنم وهى أصغر دركات النار فلنتدبر الحديث النبوى الذى أخرجه الترمذى عن عتبة بن غزوان أن النبى ﷺ قال : (إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير(٢) جهنم فتهوى فيها سبعين عاما ما تفضى إلى قرارها) . وقال الحسن : (وكان عمر رضى الله عنه يقول : (أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد ، وإن قعرها بعيد وإن مقامعها(٤) حديد)(٥) .

طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم :

إن أهل النار وهم فيها يجوعون فيستغيثون طالبين الطعام فإذا الطعام الذى يجدونه ثلاثة أصناف بحسب تقسيم أهل النار إلى ثلاثة أصناف أيضاً. ولقد ذكر القرآن الكريم ذلك .

فالصنف الأول : كما قال تعالى فى محكم كتابه : (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون)(٦) .

فهذا الصنف هم الضالون المكذبون ويملأون بطونهم من شجر الزقوم وشجرة الزقوم تنبت فى قعر جهنم ثم تتفرع فيها ثمارها تشبه فى بشاعتها

---

(١) الهمزة ٤ – ٦ (٢) الحجر ٤٤
(٣) شفير جهنم : حرفها أو حافتها .
(٤) المقامع : سياط من حديد
(٥) أنظر تيسير الوصول جـ٣ ص ٢٣٨ صفة النار
(٦) الواقعة ٥١ – ٥٣

رؤوس الشياطين أما طعمها فقد بين النبى ﷺ بشاعته فى الحديث الذى أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : (لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟) وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

والصنف الثانى من طعام أهل النار هو : الضريع . قال تعالى : (ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع)(١) والضريع : نبت ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا فإذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا ترعاه. وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنعه .

والصنف الثالث من طعام أهل النار : الغسلين وهو الصديد السائل من أجساد أهل النار وفروجهم . قال تعالى: (فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين)(٢) .

وأما شراب أهل النار فهو الحميم قال تعالى : (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)(٣) وصفة هذا الحميم هى: أنه ماء صديد كما قال تعالى : (ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه)(٤). إنه حار يشوى الوجوه ويقطع الأمعاء من حرارته كما قال تعالى : (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)(٥) وقال سبحانه (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)(٦) أما لباسهم . فقد قال الله عنه . (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار)(٧) .

---

(١) الغاشية ٦ ، ٧

(٢) الحاقة ٣٥ ، ٣٦

(٣) يونس ٤

(٤) إبراهيم ١٦ ، ١٧

(٥) الكهف ٢٩

(٦) محمد ١٥

(٧) إبراهيم ٥٠

(من الذى يخلد فى النار) : ؟

إن الذى يخلد فى النار هو الكافر والذى أشرك مع الله غيره ومات على ذلك . قال تعالى : (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)(١) . فالله لا يغفر للمشركين إشراكهم به أما ما عدا ذلك من الذنوب فإن الله يغفر ما شاء منها لمن شاء من عباده . قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٢) .

وعلى ذلك : فإنه لا يخلد فى النار من مات على التوحيد ولو ارتكب الكبائر . فمرتكب الكبيرة إن مات قبل التوبة يدخله الله النار ليصلى جزاء ما فعل ثم تكون عقباه الجنة إلا أن يغفر الله له فيدخله الجنة بدون سابق عذاب . مصداق ذلك ماأخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه عن أنس — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال : (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة(٣) من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

عاشراً : الجنة . مادة — جنن — فى اللغة تعنى الستر ، ومنه سمى الجن جنا لأنه يستر صاحبه ، وسميت الجنة جنة لاستتار أرضها بالمروج ونحوها . والمراد هنا : الدار التى أعدها الله فى الآخرة لعباده الصالحين وهى موجودة الآن وباقية لا تفنى ويجب على كل مكلف أن يؤمن

(١) البينة ٦ (٢) النساء ٤٨

(٣) البرة : حبة القمح .

وجودها الآن وبأنها لا تبيد وبأنه يوجد فيها الحور العين ، والولدان المخلدون ، ولحم طير مما يشتهون ، وأنهار من الماء العذب ، والعسل المصفى ، واللبن الذى لم يتغير طعمه ، والخمر التى فيها لذة للشاربين بدون إسكار وبأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـــر على قلب بشر ، وأهلها سيكونون إخوانا على سرر متقابلين نزع الله ما فى قلوبهم من غل فصاروا أحبة متمتعين ، تحيتهم فيها سلام ونعيمهم فيها دائم لا ينقطع .

وللجنة ثمانية أبواب ، وهى أنواع وأقسام ودرجات أعلاها جنة الفردوس ، وأقل الناس فى الجنة له من النعيم ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها معها ، لا يلقى أهلها موتا ولا يقربهم فناء . قيل : رجالها ونساؤها كلهم فى أعمار واحدة هى ثلاث وثلاثون سنة ، ونساء الجنة كلهن عذارى فى عمر الورود كل تحب زوجها ولا يمتد طرفها إلى غيره كلهن فى أوج الإخلاص يدل على ذلك كله الـكتاب ، والسنة ، وإجماع الأئمة .

قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)(١) ، وقال سبحانه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)(٢) ، وقال عز شأنه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)(٣) وقال جل ذكره : (إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)(٤) وقال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم)(٥) .

---

(١) آل عمران ١٣٣ (٢) الـكهف ١٠٧ — ١٠٨
(٣) البينه ٧—٨ (٤) القمر ٥٤ — ٥٥ (٥) محمد ١٥

ومن السنة ما أخرجه السبعة إلا أبا داود عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ . قال الله تعالى : (أعـــددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) قال أبو هريرة إقرأوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) .

وأخرج أحمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى عن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله : الجنة : ما بناؤها ؟ قال : (لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها(١) المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا ييؤس(٢) ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم) .

أول من يدخل الجنة) :

إن أول من يدخل الجنة من الخلائق كلها رسول الله محمد — ﷺ — يدل على ذلك ما أخرجه مسلم أن النبي ﷺ قال : (آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا يفتح لأحد قبلك) ثم بعد ذلك يدخل الخلائق من أمة نبينا محمد ﷺ أفواجاً ولهم أوصاف ذكرها الحديث الذى أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي — ﷺ — قال : (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفـــلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ،

---

(١) ملاطها — بكسر الميم — هو الطين يصلح به الحائط .
(٢) أى لا يصيبه البؤس .

ومجامرهم(١) الألوة(٢) ، أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء) :

(رؤية (٣) الله تعالى) :

ومن أعظم لذائذ الجنة . النظر إلى الله تعالى حينما يكشف الحجاب ورؤية الله تعالى ممكنة عقلا ، واجبة نقلا ، واقعة فعلا فى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين . بلا كيف ولا انحصار كما قال أهل السنة وقد جاء ذلك فى القرآن الكريم والسنة النبوية . أما القرآن فمنه قوله تعالى:(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(٤) .

وأما السنة فقد قال جرير بن عبد الله : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون(٥) فى رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)(٦) .

---

(١) المجامر : ما يوضع فيها النار للبخور .
(٢) الألوة : بفتح الهمزة وضم اللام بعدهما واو مشددة مفتوحة : العود الذى يتبخر به والكلام تشبيه لأن الجنة لا نار فيها .
(٣) رؤية الله مسألة خلافية . والكلام فيها مبسوط فى كتب التوحيد فمن أراد زيادة إيضاح عنها فليرجع إلى كتاب المواقف أو المقاصد
(٤) القيامة ٢٢ — ٢٣
(٥) لا تشكون .
(٦) ق ٣٩

وأخرج مسلم والأربعة إلا أبا داود عن صهيب أن النبي — ﷺ — قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . اللهم اجعلنا فى الدنيا فى طاعتك وفى الآخرة فى أعالى جناتك ، ومتعنا برؤيتك ، فأنت ولينا ومولانا وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ؟

ا . د / أحمد أبو السعادات

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة